

نادماً
خرج
القط
قصص وخواطر
أحمد صبري

نادماً خرج القط!

«« قصص وخواطر »»

أحمد صبري غباشي

الكتاب:
نادمًا خرج القط
المؤلف:
أحمد صبري غباشي
رقم الإيداع:
2007/26914
الغلاف:
محمد إبراهيم عبد العاطي
المدير التنفيذي:
أ. أحمد عبد المنعم
الإشراف العام:
أ. محمد سامي
* * *

دار ليلى
جمهورية مصر العربية- 23 ش السودان الدقي- هاتف: 33370042

الموقع: **www.darlila.com**

أحمد صبري غباشي

نادمًا خرج القط

دار ليلى

الفهـرس

* * *

ليس حسداً

ليس من المعتاد أن يقدم كاتب قصصي مجموعة قصصية لكاتب قصصي آخر، وإنما الأقرب للعرف أن يقدمها ناقد أدبي، غير أنني أعتبر (أحمد صبري) بمثابة ابن لي لا أقدر على رفض طلب له. وهذا لا يعني قطعاً أن هذه (الأبوة) أثرت على رأيي في هذه المجموعة القصصية، فهناك أعمال أدبية لأبناء أعزاء آخرين، لكني لا أجد القدرة على استكمالها ولا يمكن أن تقنعني قوة على وجه الأرض بكتابة مقدمة لها. فقط أبتسم وأقول متظاهراً بالحكمة:" دعنا نر العمل التالي لك.. " . لكني مع أحمد وجدت نفسي أنهي المجموعة بسرعة البرق ثم أعيد قراءتها مرتين. إخراج القصص وعناوينها احترافي للغاية حتى أنه بوسعك أن تنسى كاتبها وتشعر بأنك تقرأ مجموعة قصصية لأديب راسخ من الستينات. كل قصة تحوي مغامرة تجريبية ما حتى تشعر بأنه ينهي القصة وقد خارت قواه تماماً. من السهل والممتع على المرء أن يكون قاسياً وأن يتصيد الأخطاء على غرار (لماذا نادماً خرج القط ، وليس خرج القط نادماً ؟.. إن هذا تحذلق.. الخ).. لكن من الصعب أن تتجرد وأن تنظر لهذه المجموعة كما هي فعلاً: مجموعة من القصص الممتعة المهمومة بالبشر ولا يكف صاحبها عن التجريب.

أحمد صبري لا يخفي إعجابه الشديد بيوسف إدريس، وفي هذا أجد أنه وضع إعجابه في المكان الصحيح تماماً. ومن الغريب أنني ما زلت مصراً على أنه يشبه يوسف إدريس في شبابه فعلاً حتى على مستوى ملامح الوجه. هل تأثر به حتى صار يشبهه أم تأثر به لأنه يشبهه ؟.. لا أعرف حقاً.

إن هذا الأديب الشاب يلعب بعدة أوراق رابحة لا شك فيها: الورقة الأولى هي حبه الشديد للأدب والكلمة المكتوبة. هذا الحب أوشك أن يصير هاجساً وقد أقلقني عليه في فترة من الفترات. تأمل عنوان المجموعة (نادماً خرج القط).. هذه التركيبة اللغوية التي تضع الحال في بداية الكلام، مع الغموض المتعمد في المعنى. إنها تحمل تلك الرائحة التي لا توصف ولا يمكن التعبير عنها بكلمات والتي تجعل الأدب يختلف عن كلام الصحف والمحاورات اليومية. الورقة الثانية هي سنه الصغيرة جداً والتي تثير ذهول كل من يقرأ عملاً من أعماله. إن في انتظاره رصيداً هائلاً من الأعوام والخبرات والوجوه التي سيقابلها.. سوف يصطدم بكثيرين ويحب كثيرين، ويسافر لأماكن لم نرها ويقرأ كتباً لم نسمع عنها. هذا يعني أن الحكم عليه لم يكتمل بعد. الورقة الثالثة هي كمية هائلة من الأدينوسين ثلاثي الفوسفات في خلاياه.. أي أنه يملك الكثير من الحماس والاندفاع والطاقة وهي طاقة قادرة على تحريك الجبال لو خرجت كاملة. يبدو أنني أردد مقاطع كاملة من قصيدة (حسد) للشاعر السوفييتي العظيم (إيفتوشنكو)، لكني أحاول أن أضعك في الصورة لا أكثر.

في هذه المجموعة يلعب أحمد على السلم الموسيقي من أوله إلى آخره.. هناك خواطر منتحر في (وداعاً) وهناك مصير الرجل

المتحضر في مجتمع غوغاني بطبعه.. ذلك الرجل الذي سوف ينتظر إلى الأبد في قصة [متحضر].. هناك اللعبة العبثية السيزيفية في [مسرح كبير]، وهناك الرعب الميتافيزيقي الذي أثار رجفتي أنا نفسي في [نادمًا خرج القط]، وهناك الجو الأسطوري الملحمي في [زنوبيا]، وهناك القصة القصيرة المدرسية محكمة التكوين مثل [أبيع الملابس]. بل إن هناك قصة بدأتها أنا على سبيل المسابقة هي [يوم خاص] وتركتها مفتوحة على سبيل التحدي الصعب الذي لا أعرف أنا نفسي كيف استكمله، لكنه استكملها لتكون قصة جيدة جدًا. عامة سوف نجد أن الحياة تثير حيرة أحمد ورعبه.. أبطاله غرباء متفردون يعانون وحدة قاتلة وسط مجتمع لا يمكن فهمه ولغز كوني مفجع.

برغم صغر سنه فإن قراءاته العديدة منحته عمق تجربة لا بأس به، ولسوف تتدخل السنون لتعميق هذه التجربة أكثر فأكثر. أقول هذا وأعرف أن اسمه سيسطع بقوة في الحياة الأدبية بعد أعوام. لم أطلق هذه النبوءة من قبل إلا مع اثنين هما أحمد العايدي — ونجاحه لا يحتاج إلى كلمات - وأحمد عبد المولى الذي اختفى تمامًا فلا أعرف أرضًا له، والذنب ذنبه طبعًا وليس ذنب نبوءتي!

أرجو أن يبرهن أحمد صبري بعد أعوام على أنني بعيد النظر، وأن يحفظ ماء وجهي أمام من يقرءون هذه السطور الآن، وهو قادر على ذلك بالتأكيد!

د. أحمد خالد توفيق



إهداء..

ها هو إصداري الأول يظهر.. إصدارٌ يحوي أعمالاً تناثرت في العديد من دوريات شبكة الإنترنت..

بعد أن استكانت أفكاري لقلمي، و استقرت تعابيري داخل وريقاتي التي احتضنتها واحتوتها..

ها هو مجهودي المتواضع كائنٌ بين غلافين أنيقين. مجهودٌ مكلل بقطرات العرق الباردة التي تصببت من عقلي كي يخرج..

رغم ذلك يتضاءل ذلك الجهد وينكمش خجلاً وعرفاناً بجميل أناس كان لهم فضلٌ - بعد الله - في خروجه.. لذا فلا يسعني إلا أن أهدي لكل منهم عملي هذا راجياً أن تكون الهدية على المستوى المرجو..

إلى أبي، وأمي، وشقيقتيّ..

وإلى يارا وفيق من تستطيع - هي فقط - أن تحيك من الخريف نسيجًا مبهجًا..

إلى الشخص المبدع الذي عرفته كاتباً وأخاً أكبر.. د. أحمد خالد توفيق..

إلى البركان الثائر الذي أحدث في حياته صخباً، وأخرج لنا قلماً صارخاً، وأمد الأدب العربي بروائع وتحف استحق عليها العالمية.. د. يوسف إدريس..

إلى مبدعين رفعتُ قبعتي إعجاباً بأقلامهم.. نجيب محفوظ، غسان كنفاني، د. نبيل فاروق، أحمد رجب، نجلاء محرم، صافي ناز كاظم، محمد

المخزنجي، أحمد العايدي..

وإلى أوغاد أعزاء رافقوني دوماً، وأثبتوا لي بوجودهم أن الحياة لا زالت تزخر بالسواد الكافي.. أحمد حمدينو، وعلاء نصر، ومحمد عبد السميع..

وإلى كل مَن وسوس في صدري كي أسلك هذا الطريق الوعر، وأمدني بما يلزم لذلك من دعم معنوي.. إيمان هيثم، إنجي حمدي، آمال أبو الخير، شادي عبد العزيز، حسام عبد الباسط، أ. نصر عبد الرحمن، م. عماد حمدي، إيمان سمير، سبيل نادر، ريهام عبد الحميد، رباب سمك، د. محمد فتحي، أ. محمد سامي، آية عبد الحكيم..

وإلى الزهور الرقيقة التي نبتت في روضتي مؤخراً، وأضفت على مُرّ الدراسة نكهةً وطعماً لذيذاً: - أولاً.. زهور على سبيل نقل الحقائق: غادة، وهايدي، وهدى..

ثانياً.. زهور على سبيل النصب: سمير، ومحمد محسن، وعلي، وحاتم، ومحمود القطاوي..

وإلى من أصل بهم رَحِمي، ولرجال الخير، ولرفاق النشاط، ولهالتي الدافئة، ولكل من علمني حرفاً، ولكيانات الشبكة العنكبوتية، ولكل فرسان الفن والكلمات عربٌ وعَجَم..

إلى كل هؤلاء: شارك كلٌ منكم — بشكلٍ أو بآخر — في إخراج هذا العمل..

فاشهدوا جميعاً هذا الميلاد الجديد.

أحمد

سبتمبر **2006**

وداعاً

تمام العاشرة صباحاً.

* * *

هواء الصباح البارد يلفح وجهي، يشق جسدي الفضاء كرمحٍ منطلق، نشوة غريبة تلك التي تنتابني..

نعم.. أنا منتش.. كلا ليس هذا اسمي، ألم أعرفك بنفسي بعد؟!

حسناً، أنا يا سيدي رجلٌ منتحر.. كلا.. لم أحصل بعد على اللقب فما زلت في طريقي لهذا.. لنقل إنني بعد ثوانٍ سأكون شخصاً منتحراً.. فارقت قدماي ذلك الإفريز الضيق الملاصق لنافذة حجرتي الفخمة منذ لحيظات.. فقط منذ لحيظات.. أنا الآن في الطريق للأرض، أو للموت.. فهما عندي سيّان.

كانت حجرتي فخمة فعلاً، تتناسب وتلك الشقة الراقية غالية الثمن، كلفتني تقريباً ما لا يقل عن الملايين الخمس.. أجل.. ذلك هو الرقم تحديداً.. خمسة ملايين من الجنيهات ربحتها في آخر صفقاتي.. واحدة كالعديد من الصفقات التي أمرّ بها بصورة دائمة في عملي.. كانت تقريباً صفقة ذلك الأسمنت المغشوش.. أجل هي..

تباً.. ما لهذا الهواء البارد!.. أما كان يتوجب عليّ ارتداء ملابس أثقل من تلك التي أرتدي؟!.. أحمق!!.. هكذا أنا دائماً.. أحمق بالفعل، هكذا كان يصفني مدرس الحساب، أتذكره الآن وهو يقذف بذلك الوصف في وجهي يصحبه ما يلزم من رذاذ لعابه المتطاير..

فلأتفرغ لنشوتي الممتعة ولأتناسَ ذلك البرد فلن يدوم ذلك طويلاً.. يعكّر صفو تلك النشوة فقط ذلك الصخب بالأسفل.. إنه الصباح كما تعلم حيث الصياح، والغدو والرواح، والحركة المصاحبة لميلاد كل يوم جديد.. إنه غبائي أيضاً هذه المرة.. ماذا كان سيضرّني لو تمهلت قليلاً حتى الليل فأقفز؟.. على الأقل ستكون ميتة شاعرية.. أليس من حقي – حتى في آخر لحظاتي – أن أنعم بالهدوء؟!.. هل أعود أدراجي الآن وأرجئ انتحاري للمساء أم ماذا؟.. أعتقد أن هذا أمرٌ عسيرٌ بعض الشيء..

خسارة!.. ها أنا ذا أخسر ميتةً شاعرية هادئة.. هكذا أنا.. دوماً كانت تنعتني أمي بأني خائب لا أحسن اختيار شيءٍ البتة.. أي شيء.

فلندعنا من هذا ولأعد لاستكمال حديثي قانعاً بالانتحار في هذا التوقيت..

ولكن ماذا كنا نقول؟!

اغفر لي تشتتي يا سيدي.. فهذه أول مرة أنتحر فيها كما تعلم.. آه، تذكرت.. كنت أقول ربحت ملاييني الخمس في تلك الصفقة التي أحالت برجاً سكنياً عملاقاً لكومة من التراب بعد أسابيع من الانتهاء من تشييده.. لابد أنك على علمٍ بها.. فلقد ندّدت بها الصحافة واستغلها رجال الإعلام لملئ الدنيا صراخاً..

ما هذا؟!!.. ماذا يفعل البائع الأرعن بأسفل؟!!.. ألم يخبرني البارحة بأن ما لديه من تفاحٍ قد نفد؟!.. إذن فلماذا يبيع الآن تفاحاً لذلك الزبون؟!.. ذلك السفيه! سحقاً له!.. لا ريب أنه تعمّد الكذب عليّ لأني لم أسدّد حسابه بعد.. أجل.. لا تتعجب يا سيدي، فلست ثرياً.. التعبير الأدق هو أنني (كنت) ثرياً.. نعم بالفعل، فأنا لم أكمل بعد..

فبعد أن ندّد رجال الإعلام بما وصفوه بالجريمة الإنسانية التي تم إزهاق

أرواح بعض البشر بسببها.. بعد ذلك تم اجتذاب كل من شاركوا في الصفقة وأنا على رأسهم.. محاكم، محامون، قضايا، جلسات، مماطلات، ثم حكم فعقوبة.. قضيتُ مدة معينة ألفت فيها وحشة الحبس وآنست خلالها السجن.. ثم خرجت.. خرجتُ وجيوبي أنقى من قلب مؤمن.. لا أملك شيئاً غير تلك الشقة، هي كل ما تبقى لي من أيام (العز).. خرجت مفلساً مما جعل وغداً كهذا البائع يواري عني بضاعته ويتحكم فيّ.. إنه قدري، وكان لابد أن أحيا على تلك الحال شئت أم أبيت..

إلهي!!.. من موضعي الآن أرى سيارة فاخرة تسابق الريح وتلقى عجوزاً في طريقها؛ فتتعامى عنه وتعطيه حقه الطبيعي في أن يموت مسحوقاً بكل وقار.. أتراها ميتةً سهلة؟!.. أتراه قد شعر بألم؟!.. لا أعتقد.. لقد تم الأمر في غمضة عين ولم يُبد الرجل حراكاً قط.. بل يبدو أن سرعة الحادث لم تمنحه الوقت الكافي ليعلم أن سيموت أصلاً.. يا له من محظوظ!.. ميتة لا بأس بها فعلاً.. والأهم أنها مريحة..

من جديد أصدم جبهتي براحتي حانقاً على نفسي، كان يجب عليّ أن أقوم بعمل دراسة عن طرق الانتحار قبل أن يدفعني استعجالي للموت بهذا الشكل.. هه، لابد مما ليس منه بد.. ما حدث قد حدث.. فلننسَ الأمر..

ولكن ما بال رحلة سقوطي قد طالت؟!.. أم أن هذا هو الوضع الطبيعي؟.. قد يكون ذلك بسبب حديثي الطويل.. أثرثارٌ أنا؟!.. هل أثرثر حقاً؟ ؟.. ربما!.. ولكن فلتعلم يا سيدي أن هذا ليس طبعي على الإطلاق.. كنتُ طيلة حياتي صموتاً منطوياً كئيباً غامضاً.. يتمنى من حولي أن أستفيض في حديثي مرة، أو أن ألقي بمزحة مثلاً في أي مناسبة.. أجل، لا تعجب.. لم أكُ قط بمثل هذه الثرثرة والمرح والوضوح الذي ينتابني الآن.. لم أكُ مكشوفاً بهذه الصورة في حياتي.. لو رآني أحد معارفي الآن وأنا أثرثر هكذا لحسدك يا سيدي.. أجل، أنت محظوظ لأني أحدثك بمثل هذا الشكل..

محظوظ فعلاً..

كنتُ بينهم أحكم وضع قناع الكآبة على وجهي.. تتساقط كلماتي – إن وُجدت – مقتضبة حازمة.. كان التذمر وسرعة الملل أهم ما يميز شخصيتي في حياتي السابقة..

هل أقول سابقة؟! هل يجوز لي؟!.. لا ليس بعد.. بعد ثوان بإمكاني أن أقولها.. هذا إن أُتيح لي التحدث من الأساس..

عفواً، للمرة الثانية أنسى موضوعنا الأصلي.. ذكّرني من فضلك..

آها، حسناً حسناً.. توقفنا عند خروجي مفلساً.. تذكرتُ الآن.. بعد هذا كان تخلّي زوجتي عنى أمراً محتوماً بالطبع.. هذه قاعدة مُسلّم بها في الأفلام العربية ولا سبيل لتحطيمها ها هنا.. حسناً.. لم يعد لدىّ شيءٌ أخسره.. فلتذهب هي ومن خانتني معه لجوف جهنم.. خاصة وأنه ليس ثمة إنجاب يربطني بها..

ألازلت تتابعني حقاً يا سيدي؟ ؟.. لا لا.. لا تستخف بعقلي أرجوك وتومئ برأسك علامة الموافقة، فصوت شخيرك الذي علا منذ قليل يصعب إغفاله فعلاً..

فلنعد للموضوع.. حسنٌ أني لم أنسَه هذه المرة..

أصبحتُ وحيداً كما أخبرتك، وبعدما حدث ما حدث قال لي الكثيرون..

" إن الله يحبك بالفعل يا هذا.. ارتكبتَ جرماً فعوقبتَ.. تزوجتَ آثمة فرحلت.. وولّى مالك الحرام إلى غير رجعة.. إن هذا لجيدٌ للغاية!.. فلم لا تبدأ من جديد بدلاً من اليأس الذي حلّ بك وأنهك قواك؟.. ابدأ من جديد نظيفاً شريفاً وليعنك الله.. "

لم يبدُ لي هذا مقنعاً وقتها.. ما لي أراك توافقهم يا سيدي!.. هل معهم

حق فعلاً؟!.. أرى في عينيك نظرة تقول..

" معهم حق بالفعل يا أحمق.. لقد تخلصت من كل الشرور التي أحاقت بك.. فلمَ تضيع فرصة للبدء نظيفاً، وتلوذ بالانتحار وتنهى حياتك كافراً؟!"

كافراً؟!!.. أيعد الانتحار كفراً حقاً؟!!.. محتمل!.. واأسفاه..

ولكن ماذا في هذا؟.. منذ متى كنت مهتماً بديني حريصاً على إقامة شعائره؟!.. تقريباً لا أدرى عن ديني سوى الاسم فقط.. لا أذكر أني صليت في حياتي سوى مرة أو اثنتين أرغمني فيهما أبي على الصلاة كرهاً.. أنا هالك يا سيدي لا محالة.. لا تشغل رأسك بي.. لا تشغل رأسك بي بتاتاً..

سيدي، أفق.. أنا أحدثك.. لا زلت لم أصل للأرض بعد.. حقاً لا أدرى سبباً لطول المسافة بهذا الشكل.. يا للملل!

تهبُّ الريح فجأة هبة مباغتة وقوية للغاية.. تزحزحني من موضعي الساقط المتحرك في الفضاء بضعة أمتار قليلة.. اللعنة!.. أعبثٌ تبغي أيها القدر؟!.. تأبى حتى أن تحقق لي آخر أمنياتي في هذه الدنيا؟ ؟.. لقد ضبطتُ نفسي على أن أسقط أمام البائع السفيه بالضبط حتى تتناثر دمائي على بضاعته فتلوثها كعقاب أخير.. حتى القدر يأبى تحقيق مطلبي الأخير يا سيدي.. يا لي من تعس!.. هذا من حسن حظ البائع طبعاً، إنه رجل طيب على كل حال.. لا ريب أنه سيبكى كثيراً لرحيلي – من أجل الحساب المتأخر –.. ولكن لا بأس.

أما لهذا السقوط من نهاية؟!!

يعبر الشارع تحتي أمٌ وطفلها.. يا له من طفل جميل برئ!.. يا للروعة! ، يرفع الطفل رأسه بغير داعٍ للسماء.. يراني.. يضحك لي في جذل.. فألوّح له بذراعي كلها ضاحكاً.. هل ترى ابتسامته يا سيدي؟!!.. رباه! ما أجمل هذا!!.. ما أروع أن يكون هذا من أواخر ما تقع عليه عيناي في ذلك العالم

البغيض.. ربي أريد أن أرجع، ارفعني لحجرتي ثانيةً.. يا للخسارة!.. لا مشكلة، فلأمضِ قدماً فيما بدأت فقد قُضيَ الأمر.

ها هي الأرض تقترب..

من الطريف حقاً أن تسجل مشاعر شخص ينتحر.. أليس كذلك؟ ؟

تسألني بماذا أشعر؟!!.. أشعر بسعادة لا أدرى لها سبباً.. أشعر أنى مرح ثرثار.. أتعلم شيئاً؟!.. أشعر أن حياتي الحَقيقية بدأت منذ أن قفزتُ من على الإفريز.. لحظتها فعلتُ كل ما حرمته على نفسي في حياتي الفعلية.. في هذا الوقت الضيق الحرج للغاية فعلتُ الكثير.. تغيرتُ تماماً..

كنتُ صموتاً فثرثرت.. كنتُ صارماً فتبسطت.. كنتُ عبوساً فضحكت.. كنتُ متشائماً فتفاءلت.. كنتُ كئيباً فانتابني المرح..

ألم تلحظ ذلك يا سيدي؟ ؟.. ليت ذلك يدوم طويلاً..

دعني في لحظاتي الأخيرة أدرك حقيقة موقفي، أو فلتتخيل أنت بنفسك فسيكون هذا أفضل.

تخيل نفسك سابحاً في الفضاء.. مخلفاً وراءك شقة فاخرة وخيبة أبدية، ومستقبِلاً الأرض فاتحاً ذراعيك لتتلقى صدمة الارتطام بها..

تخيل نفسك بعد لحظات عندما تخلع عنك هذا الرداء الذي يحيط بروحك المسمّى بالجسد، وتصير مجرد روح.. عندما تصبح بين طرفة عينٍ وانتباهتها كومة من الأشلاء.. عندما تصطدم عظامك - التي عشت عمركَ تغذيها بما يلزم من كالسيوم - بالأرض الصلبة في عنف، في حين لا يحول بينهما حائل سوى غلافٌ طريٌ من اللحم والجلد يغلّف هذه العظام..

تخيل نفسك وقد عشت حياةً صاخبةً مليئة بالأحداث والضجيج، بالخير والشر، مزدحمة بآلاف الوجوه من الناس، وزاخرة بشتّى أَصناف البشر..

تخيل كل هذا ينتهي ويغدو تاريخاً بمجرد حدوث ارتطام لحظي بين

جسدك هذا وبين هذه الأرض..

هل تتخيل معي؟!

عندما تكون بشراً من لحمٍ ودم، تسري فيك دماء الحياة الحارة، فتغدو فجأة مجرد (مرحوم) يستدعي مصمصة الشفاه..

هذا هو ما أحسه الآن وما أفكر فيه.. شيء مهيب حقاً.. لحظة حرجة.. رهيبة..

حسناً.. لم يتبقّ من الوقت الكثير.. فلأودعكم..

وداعاً أيها الفانون من تحتي..

سأودعكم وأرحل.. وأنا على يقينٍ من أن فعلتي ستجترّ عليّ من بعدى اللعنات..

وداعاً..

فلأدعكم لمدرسي الحساب الذين يتركون على وجوهكم آثاراً من لعاب دائم تصحبه الاتهامات بالحمق، ولأمهاتٍ عجائز ينعتونكم بالخيبة على الدوام..

فلأدعكم لشققٍ فاخرة، ولصفقاتٍ خاسرة، ولأبراجٍ سكنية تهوي، ولرجال صحافة يصرخون..

فلأدعكم لباعةٍ يوارون عنكم بضاعتهم، ولسيارات فاخرة تسحقكم سحقاً، ولزوجاتٍ خائنات، ولأناسٍ ينصحونكم بالبدء شرفاء من جديد..

فلأدعكم لهبوب الرياح الذي يزحزحكم، ولابتسامات أطفالٍ أبرياء لن تدوم طويلاً، ولحمقى مثلي يبغون الانتحار..

وداعاً أيها الفانون..

التمسوا لي المغفرة على ما اقترفت من إثمٍ بانتحاري، واذكروني بالخير.. ولو أني أعلم أنه مطلب عسير التنفيذ..

وداعاً..

وأنت يا سيدي.. شكراً لأنك تحمّلت ثرثرتي التي صدّعت بها رأسك فـــ.. . سيدي، سيدي.. استيقظ ولا تبتئس فإني راحل.

أخيراً اقتربت الأرض..

فلأهيئ نفسي.. أريد أن أسقط على بطني فاتحاً ذراعيّ للأرض بحيث أبدو عند سقوطي وكأني أحتضنها بعد فراق.. ولا تسألني عن سبب رغبتي تلك لأني لا أجد تبريراً لها..

سيبدو هذا طريفاً..

وداعاً يا سيدي.. فلتكمل نومك هانئاً بدون مقاطعة..

وداعـــــــ..... ..

* * *

(صوت ارتطام مكتوم).. فتجمهر متوقع من الناس.

تمام العاشرة صباحاً وعشر ثوان.

* * *

الاثنين – 3 يناير 2005

متحضر

يموج الطريق بالبشر غدواً ورواحاً، وبالسيارات جيئةً وذهاباً كأساطيلٍ من نمل..

ولكن ماذا عني؟!

أقفُ كالعادة منتظراً الحافلة مع مجموعةٍ من وجوه ألفتها لفترة؛ تنتظر مجيئها بدورها.. نقفُ وقيظ الشمس يحتضننا في شوقٍ تبدّى في قطرات العرق التي وُلِدت على جباهنا، وأزادتنا ضيقاً..

لكني اليوم أرى وجهاً غير مألوف انضم إلى مجموعتنا، رجلٌ تفوح منه رائحة الأناقة.. شعره مصفّف بعناية، بذلته مهندمة غالية الثمن.. وكان يرتـــــ... باختصار (مش وش بهدلة) كما يقول العامة..

حقاً لا أدري ما الذي يجعل شخصاً كهذا ينتظر قدوم الحافلة؟!.. لا ريب أنه مضطر لسببٍ ما لا أدرى كنهه..

ينتبه لتحديقي فيُطلِق عليّ نظرات مستنكرة؛ متفحصاً إياي من (إخمص شعري وحتى منبت قدمي).. عفواً.. ماذا أقول؟!

أنا فقط مرتبك قليلاً..

أقصد أنه يتفحصني من منبت شعري وحتى إخمص قدمي مشمئزاً..

وفى محاولة لحفظ كرامتي بادلته نفس النظرات، وهبطتُ بركني فمي لأسفل محاولاً أن أبدو لا مبالياً، وبالطبع لم أنسَ أن أضم ذراعيّ إلى صدري – ليس هذا ترفعاً منّى – ولكن لكي أوارى ثقب قميصي، فلو انتبه إليه فلن يُصبح وضعي على ما يُرام..

ظللتُ أنظر له وينظر لي، أنظر له وينظر لي. إلى أن توجهتُ له من باب الفضول معلناً الهدنة لفترة قصيرة.. وسألته:

-" مساء الخير.. هل الأخ ينتظر الحافلة مثلنا؟!"

بالطبع كان السؤال ينم عن عبقرية فذّة طالما انفردتُ بها دوماً؛ فلقد كنت في طفولتي في المدرسة عندمـــ.... آآ عفواً، يبدو أنني اندمجت قليلاً.. المهم أن الرجل قال في لامبالاة مقتضبة:

-" مساء النور.. نعم"

تباً له؛ إنه لا يُعيرني اهتماماً..

-" هل من مـــــ..... ..."

طبعاً كان من المحتم أن أبتر عبارتي بعد أن رأيتُ الناس ينظرون نحوى نظرات منتشية (ماذا يريدون؟!!.. فليستر الله) ها هم يركضون نحوى (كل هؤلاء؟!!.. لقد انتهى أمري بلا شك) بكل سرعتهم و.. ... .. وانتبهتُ!!.. إنها الحافلة قد حضرت وهم يبغونها..

وبعد أن أسقطتني الدفعات، وأوجعتني الكدمات، وداستني الأقدام؛ نهضتُ بعد أن فشلتُ في اللحاق بها.. ورأيت الأخ يضحك بشدة؛ فما كان منّي إلا أن بصقتُ في سوقية، وصببتُ جام سخطي على وجهه قائلاً:

-" ما الذي يضحكك؟!"

ضحكاته تحاصر كلماته..

-" إنني أزداد يوماً بعد يوم تمسكاً برأيي.. بعد أن تثبته المشاهد والمواقف التي أتعرض لها"

-" وما هو هذا الرأي؟!"

أخرس ضحكاته..

-" أننا همج.. مجرد همج تظهر الهمجية في تصرفاتنا وتسيطر العشوائية على حديثنا.. علينا أن نلتزم التحضر"

-" وكيف ذلك؟!"

-" كالذي حدث لك الآن.. فلو أن الحافلة تأتي في ميعادها، ولو أن المنتظرين وزّعوا أنفسهم على أكثر من واحدة لما كانت هناك مشكلة، ولأصبح ركوب الحافلة سهلاً ميسوراً للجميع.. ولكن كيف؟!.. فسائقو الحافلات لو وصلوا في ميعادهم يوماً لكان ذلك عاراً عليهم، ولسوف يؤنبهم ضميرهم بقية حياتهم.. كيف؟!!.. ومن ينتظرون يركضون جميعهم في غير نظام عند أول حافلة تظهر.. علينا أن نلتزم التحضر"

استيقظت بأعماقي روح الهمجية!

-" وزعوا أنفسهم؟! ميعادها؟!!.. أي ميعاد!.. عموماً إنهم يفعلون ذلك كي يستطيعوا اللحاق بالحافلة"

يبدو أن استيقاظ روح الهمجية بأعماقي قد أيقظ بدوره روح الغضب بأعماقه؛ فقد قال:

-" أما فهمتَ ما قلتُ يا هذا؟!.. لقد قلتُ: بعضٌ من نظام سيحل المشكلة.. علينا أن نلتزم التحضر"

حقاً لا أفهم لماذا يُصرّ على اختتام عباراته بـــ (علينا أن نلتزم التحضر).. إن هذا الشخص متحضر بدرجة زائدة.. هذا واضح.

على العموم يكفيني هذا منه الآن، عليّ أن أظل منتبهاً لقدوم الحافلة التالية حتى لا يتكرر ما حدث..

ولكن حدث ما كنت أخشاه.. لقد انطلق الرجل في الكلام ولم أعد أستطيع إيقافه:

-" وأنت بالطبع تعلم أن مظاهر همجيتنا تتجلى في أشياء أخرى كثيرة غير هذه.. فهناك البالوعات المفتوحة في اشتياق لالتهام الخلق.. وهناك ماسورات الصرف المنفجرة والتي أغرقت الشوارع بمياهها العذبة النقية

وانتشرت رائحتها الفوّاحة الندية.. هذا غير صفوف البشر المتقاتلة على الخبز ومن القمامات على نواصي الشوارع مما يُعطى رونقاً حضارياً.. من المؤكد أنك قادر على استيعاب مثل هذه الأمور"

وكالعادة عقّب:

-" كل هذا يُحتِّم علينا أن نلتزم التحضر"

هرشتُ رأسي متجاهلاً تلك الكائنات الغريبة التي تجدها يدي في محاولة لفهم مدى علاقتي بما يقول، وما هو ذنبي في هذا؟!

فلأتركه قليلاً فها هي الحافلة الأخرى قادمة..

هدّأت من سرعتها قليلاً لكيٍ نستطيع الركوب.. أركضُ نحوها.. أركض، أركض.. أمسكت بها أخيراً..

لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، لقد تلقيت لكمة من شخص زاحمته في مكانه أعادتني – على ما يبدو– لمكاني جوار الرجل (المتحضر) مرة أخرى.. فما كان منه إلا أن ضحك بغزارة.. بصقتُ في سوقية كعادتي حين أكون عصبياً وسألته:

-" علامَ تضحك؟!.. بل وأخبرني لماذا أراك ثابتاً في مكانك هكذا؟ أما تنوي استقلال أي حافلة؟!.. أم أنك تعتزم المكوث حيث أنت إلى الأبد؟!!"

قال مستنكراً:

-" أنا أنتظر واحدة بالفعل.. ولكن هل تريد منّي أن أفعل مثلك هكذا في همجية مسيئاً إلى مظهري وجاعلاً من نفسي شخصاً مُهاناً؟.. محال"

حمداً لله.. لم يقل (علينا أن نلتزم التحضر) هذه المرة.. إن المرء ينسى هذه الأمور أحياناً وجلّ من لا يسهو..

لكنه استدرك في سرعة:

-" علينا أن نلتزم التحضر"

نظرتُ له في مقتٍ مستغرب، وعبارتي انطلقت في تهكمٍ حانق..
-" وكيف تظن نفسك أنك راكبها؟!"
في رده بساطة مليئة بالتفاؤل..
-" أنا هنا حتى تأتي حافلة تكون فارغة قليلاً وتقف لي حتى أركب لكي لا أهين نفسي"
اغتظت..
-" مهلاً، أُدركُ ما ستقول.. (علينا أن نلتزم التحضر)"
ابتسم..
-" أحسنت"

يا إلهي فلترحمني من هذا العذاب.. هذا الرجل إما أنه - كما سبق أن قلت - لم يسبق له ركوب الحافلات من قبل، أو أنه مصاب بلوثةٍ في عقله..
لو أنه حقاً يعني ما يقول، وسينتظر حافلة فارغة بالفعل فأمامه ثلاثة أيام على الأقل..
لما لاحت لي الحافلة الثالثة قلتُ له:
-" حان وقت الذهاب.. أتمنى لك حظاً سعيداً في هذا الطقس الخانق.. إلى اللقاء"

وهذه المرة ركضتُ بأقصى سرعتي حتى ولجت داخل الحافلة بأعجوبة..
. أف! لقد كان ذلك أشبه بالحلم..

ما زال أمامي الكثير هذا اليوم، عليّ أن أذهب سريعاً للبيت حتى أصطحب زوجتي إلى دار أبيها، فلقد دعانا اليوم لنتناول غداءنا معه.. عليّ أن أكون مهندماً اليوم.. فهذه من المرات النادرة التي يدعونا فيها أبوها الشحيح على الغداء.. فليستر الله.. فإنــ.... .. ما هذا؟.. هناك حركة

غريبة في جيب سروالي الخلفي. تحسسته فوجدت يداً تعبث داخله.. التفتُّ إلى الوراء ووجدته.. آها، ها هو نشّال هذا اليوم إذن..

بالطبع ملأتُ الدنيا صياحاً..

-" يا للحسرة.. أكل يوم أضبط نشّالاً؟!.. إلى متى؟!.. إلى متى سنظل بهمجيتنا هذه؟!.. علينا أن نلتزم التحضر"

* * *

لم أكن أتوقع أني أحب زوجتي لهذه الدرجة.. فإن لديها أباً سخياً، وامتلاء معدتي هو الدليل الواضح على ذلك..

هل أخبركم بأمر غريب؟!.. لقد بدأت أحب ذلك الرجل.. نعم بصدق..

فها نحن عائدان - زوجتي وأنا - في الواحدة بعد منتصف الليل تقريباً بعد وجبة شهية قلّما يجود الزمان بمثلها مرة أخرى؛ مستقلَين الحافلة في الطريق للبيت، وها نحن نمر على نفس المكان الذي كنت أنتظر فيه ظهراً..

وفي نفس المكان.. لمحتُ من يقف منتظراً حافلة تنجده من حلكة الليل في تلك المنطقة الخالية من المارة.. يبدو من مظهره ووقفته أنه ينتظر منذ فترة طويلة..

كان شخصاً - وجهه مألوف لي - تفوح منه رائحة الأناقة.. شعره مصفف بعناية، وبذلته مهندمة غالية الثمن.. كان يرتـــــ.... . باختصار (مش وش بهدلة) كما يقول العامة..

متأكدٌ أنا من أني قد رأيته من قبل.. ولكن أين؟! أين؟!.. لا أذكر حقاً.. لقد أصبحت ذاكرتي واهنة بدرجة كبيرة هذه الأيام.

* * *

الثلاثاء - 20 إبريل 2004

الغريب

(1)

(غريب الأطوار).. هكذا يصفونني.. لا أدري إن كانوا على حقٍ أم لا!
لكنّي سعيدٌ بنفسي هكذا.. وحسب.

* * *

الطريق ممهدٌ، معدمٌ عليه الزحام، يُغري عجلات السيارة بالمزيد من الدورات الجنونية الجديرة بمستشفى أمراض عصبية..

السيارة تنساب على الطريق في نعومة.. تحويني داخلها..

بداخلي تنساب الأفكار في نعومة ناتجة عن دورات جنونية على طريق ممهد، معدمٌ عليه الزحام..

فيم أفكر؟!!

بالتأكيد أفكر في شيءٍ ما؛ خاص بشخصٍ ما؛ لديه مشكلة ما تتعلق بي بطريقةٍ أو بأخرى..

ومن المؤكد أن للمشكلة صلةٌ بالمال بطريقة ما..

ومن المؤكد أيضاً أن هناك امرأة في اللعبة..

تلك مقوماتٌ مُثلى لقيام أية مشكلة ذات قيمة.. إذا ما نقّبت وراء أية مشكلة في الوجود ستتسلل إلى أنفك رائحة مال أو عطر امرأة.. بات هذا شيئاً أساسياً، وغدا قاعدةً تم التسليم بها.

الطريق يحوى سيارتي بين جنبيه.. على يساري ترعة متواضعة مزدانة ببعض الشجيرات على جانبيها، شجيراتٌ تقف طوال اليوم ترمق صورها

المنعكسة على صفحة مياه الترعة..

وعلى يميني صورٌ لبيوتٍ في غاية البساطة، صورٌ تتدافع وتتزاحم متبديةً لي من زجاج نافذة السيارة.. صورة تدفع الأخرى بسرعة البرق..

كلا!.. بل بسرعة 120 كيلومتراً في الساعة التي أسير عليها..

غريبةٌ حقاً هذه البيوت، وغريبٌ حقاً من يقطنها.. لم أكن أظن أن زمننا هذا لا زال يحوى مشاهد كتلك..

لي نصف ساعةٍ منطلق بسيارتي، والبيوت هي البيوت والناس هم الناس..

بيوتٌ رحل الطلاء القديم عن جدرانها فتبدّت بعض قوالب الطوب نتيجة رحيله.. كأن البيت منهم امرأة مهتوكٌ عرضها، ممزقٌ ثوبها، وقد تكشّفت بعض أجزاءٍ من جسدها..

بيوتٌ جميع أبوابها مفتوحة، تعرض للمارين بسياراتهم أصحن دورٍ خالية من الأثاث أو تكاد..

وأناسٌ تناثروا على عتبات الأبواب المفتوحة، وكأنما لفظتهم جميع الدور من جوفها.. يتسلّون بالحديث أو بمشاهدة آلاف الركاب المارين عليهم يومياً داخل مئات السيارات..

غريبو المعيشة حقاً!

رجلٌ بنارجيلته، سيدة أمامها صحن أرز، طفلٌ تجرد نصفه السفلي من ملابسه، وآخر تجرد نصفه العلوي، سيدتان ممتلئتان على عتبة دار منهمكتان في حديثٍ ساخن، فتىً يمد يده عبر نافذة بيتٍ ليوقظ آخر، أمٌ تصفع صغيرها على مؤخرته.. وهكذا دواليك.. .

لي نصف ساعةٍ أشاهد تلك المشاهد.. لها سحرٌ خاص ورائحة مختلفة مميزة..

فلتمضِ أيتها المدنية قدماً في طريقك المغبّر كما تشائين، لكن لتتركي هؤلاء على سجيتهم كما هم، ولا تمح - من فضلك - هذه الآثار..

رائعٌ هذا الذي أرى!

تُرى كيف يداعب رجلهم زوجته؟ كيف تُحدّث أنثاهم رجلها؟ كيف تقترض ابنتهم من البائع؟ ماذا يقول ابنهم تحت شرفة ابنة الجيران؟ أين تنام دوابهم؟

ترى هل يقبل أحدهم مني ألف ألف جنيه مقابل أن أحيا حياهم أسبوعاً؟!

آكل وأشرب وأمشى وأنام وأعيش مثلهم؟!

يا للروعة!..

ترى ما شعور الرجل وهو منفرد بنارجيلته؟ وماذا ستطهو السيدة مع الأرز؟ وما إحساس الطفل ذا النصف العاري؟ وأين ذهبت ملابس الطفل الآخر؟ وفيم تتحدث السيدتان الممتلئتان؟ ولِمَ يوقظ الفتى زميله عبر النافذة؟ ولأي سببٍ تصفع الأم صغيرها على مؤخرته؟

ثم إن هناك أمرٌ آخر.. إلى أين أنا ذاهب؟!.. لأي سبب تنطلق سيارتي في خيلاء على الطريق؟!.. تلك التافهة!.. علام سرعتي وتعجلي؟!.. من المؤكد أن السبب في ذلك أمرٌ أخرق كالكثير من الأمور الخرقاء التي تزخر بها حياتي السطحية..

فلأترك جميع من ينتظرونني ولأنل إجازةً لبعض الوقت من سطحية حياتي، وأنعم بالقرب من هذا العالم الغريب الساحر..

أود أن أقترب منهم.. أختلط_أندمجـــ_أمتزجـــ_أذوب فيهم..

بالتأكيد سيقبلونني.. هذا أمرٌ عادى لا غرابة فيه.. شخصٌ يود أن يندمج بينهم، ماذا في هذا؟!.. لابد أن يشبعوا فضولي.. لابد أن أرتوي من

سحر عالمهم، وأن أعطر نفسي برائحتهم الخاصة.

أُخرسُ هدير محرك سيارتي الغبي بعد أن أوقفها في ركنٍ ما.. أخرج منها.. تتعلق عيناي بملامح وجه تلك المرأة الأربعينية.. ملامحٌ تجذب!.. جبهة عريضة بعض الشيء تعلو عينين ضيقتين فعل بهما قلم الكحل الرخيص الأفاعيل، بوجهها آثارٌ لتجاعيد خفيفة..

كطفلٍ يتشبث بأمه يتدلى من كل أذن لها قرط مستدير مفرّغ من فضة، أبصرتها وقد حشرت نفسها في ثوبٍ منزلي بسيط أزرق اللون، أبرز - لضيقه وقِدمه - بروزات من جسدها، به آثارٌ لـ (صلصة) قد جفّت، انزلق بصري لأتأمل ما تبقى منها، فحال بيني وبين ذلك سور شرفة بيتها الذي أبلغه طولاً وكأنه جزءٌ من الطريق..

غاصت قدماي في وحلٍ خفيف عندما توجهت لها وقلت.. .

(2)

(التكملة يسردها الكاتب)

-" طاب مساؤكِ سيدتي"

انتشلتها عبارته من بحر الهواجس والهموم والأفكار الذي أغرقها حتى القاع.. ولشد ما أزعجها ذلك! فهي تجد في حزنها وهمها لذة ممتعة؛ بدّدها هو بعبارته بعد أن أخذت تتحايل لوقتٍ طويل حتى تستجلب تلك اللذة وتصطاد المتعة من بحر أعماقها..

تعلّمت تلك المرأة أن تُحيل حزنها متعةً، وأن تخلق من اغتمامها نشوةً، وأن تستخلص من مشكلاتها طعماً خاصاً.. احترفت كل هذا لّما لاقت كثرة زيارات الألم والغم لها، وإقحام عباراتهما على سطور صفحة حياتها الناصعة؛ فلم تجد بُداً من أن تألف ذاك الألم، وتهادنه، وتقيم معه أواصر ودٍ وصداقة؛ حتى غدا حليفاً ومؤنساً لها..

وها هو أحمقٌ آخر قد أتى يحرمها لذتها ومتعتها الخاصة..

إليه رفعت عينين خاويتين وإن غزتهما نظرة متسائلة شابها بعضٌ من ضجر..

أنيقٌ هو، وسيمٌ كذلك.. يشبه إلى حد كبير بطل الفيلم التي شاهدته الأسبوع الماضي عند جارتها المتأففة.. ذلكَ النجم الذي جُنّت به ابنتها.. ابنتها!! أين هي حقاً؟! لم ترها منذ الصباح!.. لقد حارت في أمر تلك الفتاة التي لا يضاهي خيبتها إنسيّ، لا تحسن في حياتها فعل شيء قدر الثرثرة وهوَس نجوم السينما.. فليُبقِ الله لها أخاها فهو مفاز الأسرة الوحيد فعلاً.

لا زال الأنيق الوسيم قبالتها.. تُرى أيقبل أن تعمل عنده بأجرٍ سخيّ؟ ألم تتمن ذلك الطراز أبداً؟.. لا تستطيع أن تجزم حقاً..

لكن ما بالها خاوية لا مبالية!.. رجلٌ أنيقٌ وسيم، أو فلاحٌ فظّ كزوجها! لم يعد يشكل هذا فارقاً..

خواء.. بقايا حزن لذيذ.. لا مبالاة.. تساؤل طفيف.. تلك هي في هذه اللحظة..

دفعته نظرتها المتسائلة لـــ....

-" ما اسمكِ من فضلك؟"

!!!.. ماذا يقول هذا المعتوه؟! وما بال تلك الابتسامة الملتصقة بوجهه؟!.. لم تسترعِ انتباهها إلا الآن فحسب.. أهو بصدد الشروع في مغازلتها؟!!.. كانت قد ظنت أن تلك أمورٌ قد ولى أمرها منذ دهر، بعدما آمنت أن ما بها من أنوثة قد تركها ورحل وانسحق بين كثرة عملها في الحقل، وتفانيها لأجل بيتها، وصفع صغارها على مؤخراتهم، وتشقّق جلد يديها من فرط غسيلها لأسمال الأسرة الكريمة.. و.. و..

هل ينتوي أن يغازلها حقاً؟!!.. يا للطرافة!.. تُرى أي ردٍ فعلٍ تُبدي

حينها!!.. لديها رصيد لا بأس به من تعابير وجه (أمينة رزق) التي تحفظ أفلامها، ولا تشاهد إلاها وسط ثورة الأفلام الحديثة التي لا تعي منها شيئاً.. لكن أتصلح (أمينة رزق) في مثل هذه المواقف؟!!

فلتأت الجارات ليحسدنها!.. ولكن ويحه! ألم يرَ بحق السماء تلك التجاعيد الوليدة، وذاك التجهم والعبوس اللذان يرصّعان وجهها؟!.. ها هو الزمن يثبت أنها أنثى من جديد..

أثلج هذا صدرها بعض الشيء وإن لم تتأكد من صحة ظنونها بعد..

تنتبه من جديد للموقف الراهن فتلين ملامحها قليلاً، وتنظر له نظرة حاولت أن تجعلها مستغربة ووُفّقت في ذلك.. أبدت رد فعلٍ ينبئ بأنها لم تسمع سؤاله فقال:

-" مهلاً سيدتي.. لا داعي للاستغراب.. كنتُ في طريقي لمكانٍ ما وراودتني فكرة الاختلاط بمن هم في مثل حالتك، فجئت أكسب ودك.. هل تسمحون لي بقضاء بعض الوقت معكم؟.. وهلا تكرمت بالحديث عن أحوالك قليلاً؟.. و.. ."

أخرسته النظرة التي التمعت في عينيها والتي جمعت انفعالاتٍ شتى..

إذن فلا مغازلة في الأمر!.. ولا توجد بقايا أنوثة كامنة بها، ولا أي هراء من هذا.. الوغد!.. ثم ماذا يقول هذا الغبي؟!! أي فكرة راودته؟ وأي وقتٍ سيقضيه معهم؟ وعن أي حالةٍ يتكلم؟!.. أجل إنه لأنيق، لكنه بالمجانين أشبه.

لا أنوثة!!.. تركّز ذهنها على هذه النقطة – التي كانت تعلم من الأساس أنها محض وهمٍ افتعله عقلها ليخلق بداخلها بارقة أمل، وبعضٌ من ثقة – فاحتشدت دماء الغضب في وجهها موردةً إياه.. وودت لو تنتقم لأنوثتها بأي شكل.. ما دام لن يغازلها فليذهب لجوف جهنم.. فضلاً عن أنه يتحدث في تفاهات لا تعبأ بها.. ثم كيـــ.... ....

يا للعبقرية!.. كيف لم تنتبه؟! ألا يمكن أن يكون ذلك المعتوه أحد رجاله؟!

إنه ذلك الموضوع المطروق الممل.. الأرض التي يود الاستيلاء عليها.. أجل.. وارد جداً أن يكون هو مبعوثه، وقد جاء يتحايل بطريقةٍ أو بأخرى، أو ربما أرسله لها برسالة تهديد، أو يتعمد إثارة الأعصاب..

كلا!.. كلا وألف كلا!

أنت إذن رسوله.. أما كان من الأولى لك أن تغازلها؟!.. سحقاً!

وبكل ما اعتمل في صدرها من غضبٍ، وما تدفق في نفسها من حمم الحنق؛ أشاحت بذراعها في وجهه وصرخت:

-" اغرب عن وجهي! "

بوغتَ وارتدَّ مصعوقاً..

فليكن.. هي تدرك ألا رجل هنالك كي تلوذ به؛ فلقد أطبق الحقل فكيه على زوجها وولدها.. لذا فستثبت له أنها على صده أقدر.. استمهلها وحاول أن يفه بـــ.. ." سيدتي إنني لم.. ... ."

عندها وجد من خلفه أذرعاً وسيقاناً تشبع كل جزء من جسده ركلاً ولطماً وكأنما نبتت من العدم.

(3)

(التكملة يحكيها شخصٌ آخر)

لا تلمني يا (سعدون)، فلم يكن باستطاعتي أن أخوض معارك الحقل اليومية طويلاً اليوم – وهي اليوم أشق – وجسدي بمثل هذا الخمول الذي لا أدري متى حل به!.. ويبدو أنك مثلي أنت الآخر.. إنه ليومٌ غريب!.. فلتأت معي للبيت نسترح قليلاً ريثما تعد لنا أمي ما يقيم أودنا.. تعال يا رجل تعال..

أف! متى سيريحنا الله من شقائنا هذا؟.. ماذا سيحدث لو كنت قد خُلقت وسيماً بعض الشيء، أنيق الملبس، ولدي من الأموال جبال؟.. ماذا في أن أمتلك سيارة فاخرة تتهادى على الطريق في خيلاء، وأرتدي ملابس تساوي – إن لم تتعد – ثمن بيتنا المبني بالطوب اللبن؟.. هه؟.. ماذا في هذا يا (سعدون)؟.. إنها حكمتك يا الله، وإني على الدوام لرا.... .. .

انظر يا (سعدون)!.. من ذا الذي يحدث أمي؟!.. يا له من أنيق!.. ولماذا يبتسم لها هكذا في تودد زائد؟! أمن الممكن أن يكون هو؟! ألا يشبه بالله عليك ذلك الرقيع الذي كان يغازل أختي (صفية) منذ أيام؟!.. لقد رأيته معي يومها يا (سعدون)، وعدوتَ وراءه برفقتي.. لكنه – الوغد – فلت من أيدينا حينها!

ألا يشبهه؟!.. أجل، إنه هو بلا شك.. أليس كذلك يا (سعدون)؟!.. هل بلغت به الوقاحة إلى الحد الذي يدفعه لأن يأتيَ دارنا؟!.. ماذا يبتغي من وراء ذلك؟!.. لا ريب أنه سيكمل صفاقتـــه..... ..

انظر!.. الغضب يتملك أمي فتشيح بذراعها في وجهه صارخة.. عليه وعلى آبائه جميعاً اللعنة!.. لن يفلت هذه المرة يا (سعدون).. فلتجمع الفتيان في الحال.. إنها آخر لحظاته بلا ريب..

لن تغرب شمس اليوم عليه إلا وقد صار عجينة اختلط ما بها من عظمٍ بلحمها.. الويل كل الويل له!..

هل أتيت بهم يا (سعدون)؟!!.. إذن فلنسرع.

(4)

(التتمة يرويها الغريب في سيارته وقد تحطم تماماً.. يكمل طريقه، ويكمل القصة)

....

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

* * *

السبت – 20 مارس 2005

.... مسرحٌ كبير

اجرِ.. اجرِ بكل ما فيك من سرعة.. بكل قوتك.. اجرِ فالسباق قد اشتد؛ والمتنافسون عدّاءون محترفون.. هذا سباقٌ عالمي ولا مجال للتفكير في الهزيمة.. انهزامك – اليوم خصيصاً – لا يحمل إلا معنىً واحداً هو العار.. هكذا قِيلَ قبل بدء السباق..

لا أحد سيبلغ خط النهاية الأبيض قبلك، ومبدأ المركز الثاني مرفوضٌ من أساسه.. الأمر منته..

اجرِ يا رجل.. انظر للمتنافسين من حولك؛ لكن لا تركز فيهم كثيراً فقد تخسر الكثير.. انظر لهم بجانبك.. يميناً.. يساراً.. المح بطرف عينيك مَن خلفك.. ركز فيمن تعداك ولا تسمح له بهذا الترف كثيراً..

هل ترى مدى إصرار هؤلاء الرجال؟.. ليس منهم من هو أحق منك.. رغم أنهم يبذلون تقريباً ذات مجهودك.. يسلكون نفس طريقك.. يسعون لبلوغ عين هدفك.. إلا إنك الأحق..

انظر لسيقانهم غير المستقرة.. تشعر أنها ستظل كذلك أبد الدهر.. عروقهم النافرة.. عضلاتهم المنقبضة.. تأمل هذا كله تأملك الخاطف الذي اعتدته.. استمد من مشهدهم عزيمةً وإرادةً أكبر، واجرِ..

زِد المساحة الفارغة بين ساقيك كأقصى ما يكون.. اجعل وثبات عدوك واسعةً بعرض آمالك وأحلامك، واجعل ضربات قدميك بالأرض دافعةً بنفس قوة إصرارك الذي جعلك بالغُ هذه المكانة، والذي جعلك في هذا المكان الآن.. اجرِ يا رجل..

بحق كل خليةٍ تنتفض في بدنك متقافزةً الآن.. بحق كل عضلةٍ فيك تبذل

مجهوداً خرافياً وهي تحلم بلحظة استرخاء.. اجرِ..

ها قد تخطيتهم جميعاً إلا واحداً.. واحدٌ فقط صار على نفس مستواك، وخط النهاية لم يعد بعيداً..

ما لهذا الأناني؟.. ألن يؤثرك على نفسه؟!.. هل ستترك له فرصة الفوز الساحق؟! النصر العالمي؟!!.. وتصير أنت المُعيّر المدحور؟!!

ماذا لو أدرتَ وجهك ناحيته وقت عدوكما الرهيب هذا؟!.. انظر له و اضفِ على الموضوع طابعاً درامياً كي يصبح أكثر لذة.. هيا أدر رقبتك.. أجل، ارمقه بتلك النظرة فهي مناسبة.. للحظة لم يشعر بك؛ لكنه نظر لك.. لم يتوقف عند وجهك طويلاً ولم يعبأ بنظرتك.. ربما لم يرها حتى.. نزل ببصره إلى ساقيك في نظرةٍ سريعة أوضحت بخله الدرامي، ثم عاد لما كان عليه..

لو كان هذا مشهداً في فيلم لأحرقه المخرج حياً.. لكن هذا سباق.. سباق عدوٍ عالمي؛ قد يحدد الكثير من الأمور المصيرية.. بل قد يغير كل المستقبل..

اجرِ. اجرِ. اجرِ.. اجعل من عرَقك الغزير غلافاً يقيك أحقادهم ونظراتهم، ولتكن حركة ساقيك لا مرئية..

لابد أن تفوز.. فكّر في صيحات الجمهور الذي سيطير بك فرحاً.. وابتسامات الفتيات اللائي سيصبن – لاشك – بالجنون بك.. الكأس الذي قدسه ذهنك.. ستناله؟!.. أحقاً؟!!.. هيا اسعَ من أجل ذلك..

خط النهاية يلوح.. يقترب.. وصاحبك يبذل جهده كي يستعيد مكانته.. لا تعبأ.. الخط يقترب.. لن تخسر هنا.. كن كالبرق أو أشد وتحمل هذه الخطوات القليلة.. هيا اقترب يا خط النهاية الأبيض.. اقترب يا خط النهاية الأبـــ.. .

تمت الوثبة!.. وثبتك.. التي نقلتك من أرضٍ كنت تشقى فيها إلى بر أمان وراحة.. ونصر..

أخيراً جاءت الوثبة التي تخطيت بها خط النهاية الأبيض معلناً للجميع أنك الأول..

فور أن تُلامس قدماك الأرضَ تشعر بارتخاء مفاجئ؛ فتنطرح على الأرض في سعادة تعِبَة مطلقاً صيحة نصر قد اجتُثّتْ من أعماقك..

تتمالك نفسك وتنهض نهضة مفاجئة وأنت تضحك رافعاً ذراعيك لأعلى كي تحيي الجمهور..

الجمهور؟.. ماذا أصاب الجمهور؟!

تنظر تجاه الناس في مدرجاتهم فلا تجد واحداً ينظر ناحيتك.. الجمهور قد انقسم إلى مجموعات لعينة تتبادل الأحاديث الجانبية.. وهناك بعض الناس قد التفوا حول أحمقين في المدرجات يلعبان الشطرنج واسترعى هذا انتباههم.. كما أنه توجد مشاجرة حامية بين مراهقين شغلت عدداً آخر من الناس..

أناس يتحدثون في هواتفهم المحمولة، رجل نائم على مقعده، وفي الركن هناك انفرد شاب بفتاة كانت – لا شك – تريه أشياء لم يرها من قبل، وشيخ جالس لا يشغله شيء؛ يولي وجهه شطر الملعب لكنه للأسف بنظارة سوداء..

ماذا دهاهم؟!.. ما هذا الكابوس؟!!.. ألم يشهد علي نصرك أحد؟! هل سيحرمونك هذه اللحظة؟!!..

ألا يستحق عناءه اهتماماً أيها الناس؟!!

عيناك متسعتان.. مذهولتان.. تعجز ساقاك – القويتان – عن حملك فتهوي على ركبتيك أرضاً وقد التزمتَ الصدمة.. الشعور الموحش بالفاجعة..

تنظر لصاحبك المنافس فتلقى على وجهه ابتسامة صفراء.. شامتة..

تُحوِّل بصرك إلى لجنة المحكمين.. سينصفونك لو لم يكن هذا كابوساً.. ارتطم بصرك بموقعهم هناك فوجدهم في انشغال تام بمائدة طعام أمامهم.. تتجه لهم في حركة كبطء الأوقات التعيسة.. قواك خائرة ونفسك قد صارت أشلاء..

تقف أمام أحد المحكمين كي تسأله؛ داعياً الله ألا يأتِ الرد الذي تتوقعه فيُقضى عليك..

تنظر له نظرةً من نار فينتبه إليك ويكف للحظة عن التهام ما في يديه.. تسأله هل رآك وقت فوزك؟.. ينظر لك لأكثر من ثانية نظرة غير واعية ثم لا يلبث أن يصدم جبهته براحته بمنتهى القوة آسفاً وهو يسأل: هل وصلتم لخط النهاية بمثل هذه السرعة؟!.. ويضيف أنه لم يعمل لهذا حساباً..

تنقل نظرتك المنكسرة إلى آخر بجواره.. تسأله: ألم يشهد نصرك؟.. فيجيبك أن اللحم كان جيد الطهي وشهياً للغاية..

تتركهم وقد تم تدميرك.. تتجه للمصور وجذوة أملٍ صغيرة بداخلك لا زالت تشتعل.. حدثٌ عالمي كهذا من المحال عدم تصويره.. وقد تكون الكاميرا هي الشاهد الأوحد..

تجد المصور قد غفا.. ينتابك الجزع فتُهرع إلى الكاميرا ذاتها.. تجد الشريط قد بلغ نهايته بداخلها فتعيد تشغيله.. ها هي تعرض صورتك وأنت تجاهد.. تعرق.. ثم نظرتك الدرامية لصاحبك.. و.. ...

وحسب.. انتقلت الكاميرا بعد ذلك للركن هناك.. حيث الشاب والفتاة، وهنا أثبت المصور أنه محترف جداً..

تركت الكاميرا تهوي على الأرض لتتحطم، وأطلقت آهة عالية هي صوت حزنك.. جذبك نظرك غصباً نحو صاحبك.. فرأيت ابتسامته الشامتة

تتسع، وكذلك كل من حوله من المتنافسين..

استشطتَ وواجهتَ المدرجات صارخاً: " أنتم.. انظروا لي.. أنا الفائز!"

الجمهور كما هو.. نفس التظاهر بالأهمية، وشطرنج، وثرثرة هاتفية، وشجار، ونوم، وغريزة، ونظارة سوداء..

الابتسامات الشامتة تطورت لتصير ضحكات شامتة.. ضحكات توحدت في ضحكة واحدة تردد صداها في المكان كضحكة ألف ألف شيطانٍ لعين..

لم تعد تطيق هذه الوجوه.. لم تعد تطيق المكان بأسره.. هذا المكان هو رمز خسارتك لا نصرك..

ضاقت بك الدنيا وبلغت روحك الحلقوم.. عدوتَ للخارج بسرعة تُقدّر بأضعاف عدوك في السباق.. يا لهذا المكان الأسود!

في خروجك اصطدمتَ بالشيخ ذي النظارة السوداء، وفور أن أحس الشيخ بشخصٍ قربه سأل بسرعة: " متى يحين ميعاد السباق يا بني بالله عليك؟!.. أريدُ متابعته بشدة، ولا أحد يريد إخباري"

عندها عجزتَ عن النطق.. وظللتَ كذلك لفترة طويلة من الدهر.. لكنك – فقط – كنت تستطيع أن تبكي.

* * *

الجمعة – 16 يونيو 2006

إنه يتنفس تحت الـــ....

مرحباً بك عزيزي داخل تجاويف نفسك..
مرحباً بك في أنفاقك المظلمة.. وأجواءك التي تخصك وحدك..
مرحباً..

حيث الخبايا التي لا يكشفها إلاك، وأكوام مشاعرك المتعفنة، وأشلاء اهتماماتك السابقة..

تفقّد أسماءً تعرفها إن شئت.. تأمل وجوه أصحابها..
واسرح إن شئت..
لا تنتبه للمعوّقات، واحذر الفخاخ التي نصبتها لنفسك معانداً..

انظر لخليط الرومانسية والخبث والغرور الساذج ومشاعر الحياة الروتينية..

هنا المصنع.. الذي يعيد إخراج خبراتك المكتسبة على شكل عملات تدفعها لعالمك كي يقبلك بين فكيه..

انظر لسنّ القلم المكسور، ولوريقاتك التي مزقتها خوفاً..
طالِعها..
لا رقيب الآن عليك سوى (أنت)..
تشعر الآن بجمال ما حولك.. هذا غريب؛ لكنه واقع..
تحب؟.. يا للترف!

تنتابك رغبة جنونية في الصراخ.. ليس غضباً أو سعادةً أو انتشاءً أو جنوناً..

ولكن صراخ لمجرد الصراخ.. لخواءٍ لذيذٍ داخلك..
أجل باستطاعتي تفهُّم ما أنت فيه..
انثر على الموجودات خلاياك.. وقل من أنت!
ألن يفهموا عباراتك؟!!.. سيظنونك معتوهاً..
(معقد نفسياً).. تهمة جاهزة كي يرتديها الكثيرون بمنتهى السرعة..

تأخرتَ كثيراً في الحصول على حريتك.. هيا افعلها..
ارفع قبضتك لأعلى.. دُقّ بعنف..
انبش ذاك الحاجز..
لابد يا عزيزي كي تحصل على حريتك المطلقة..
أن تخرج أولاً من قبرك.

* * *

السبت - 31 ديسمبر 2005

توتُّر

-" بابا بابا.. أريد منك أن تسمّع لي هذا النص"

نهارات الشتاء متخمة بأشياء عدة، ولا ينقصها إلحاح الطفل إسلام بمثل هذا الشكل.. العزاء الوحيد أنّ المزاج رائق وأن والده في إجازته من العمل اليوم.. حيث لا مدير. لا مشاكل. لا شيء..

فقط إجازة.. إجازة وحسب.

-" طيب يا حبيبي.. تمهل قليلاً.. سأجالس عمّو لبعض الوقت ثم أتفرغ لك"

(عمو) هو إسحاق.. زار عبد الرحمن - والد إسلام - اليوم.. ليس هذا جديداً..

مشهد الزيارة معتاد.. أكواب شاي. ضحك. أوراق وإصدارات أدبية منثورة هنا وهناك.. بعضها على هذا المكتب، والبعض الآخر على تلك الأريكة.. مع مناقشات ساخنة تدور كخلفية لهذا كله..

يقول إسحاق:

-" سمّع له يا عبد الرحمن بدلاً من أن يظن أني سبب تعطيله ويكرهني"

-" العفو يا عمو.. لن أظن هذا طبعاً"

يفلت عبد الرحمن من إلحاح طفله بأن يهمس في أذنه أن: أوصي أمك بإعداد الغذاء..

ها قد ذهب.

يسأل عبد الرحمن صديقه:

-" ها؟ ألم تشترِ إصداراً جديداً؟"

-" امممممم.. لا أظن.. آه! لقد أحضرتُ منذ عدة أيام رواية لــ (إبراهيم عبد المجيد) اسمها (لا أحد ينام في الإسكندرية).. لا زلت على وشك البدء فيها"

-" آه قريتها!.. أنا أعشق هذه الرواية.. متأكدٌ من أنها ستنال إعجابك"

-" هنشوف! ليت هذا يحدث.. المهم فلتخبرني.. ألم تكتب إبداعاً جديداً؟"

-" وهل هذا سؤال؟!.. كتبت طبعاً.. لقد سئمني الأدب يا عزيزي"

-" يا ندل!.. ولماذا لم تطلعني على ما كتبت حتى الآن؟!"

-" اعفني من هذا الآن.. لست رائق البال فعلاً لهذا! "

ومن الأدب إلى أغنية (الأطلال) التي يُدندن بها إسحاق.. .

-" ياه يا إسحاق!.. أنت أيضاً تحب هذه الأغنية؟"

-" طبعاً.. يا سلام عليها عندما تسمعها وأنت وحدك في الشقة بعيداً عن صخب الأولاد.. "

-".. وساقاك ممددتان على المقعد أمامك، وكوب العصير في يدك.. "

-" أم كلثوم معجزة أساساً! "

-" من المؤكد أنك تحب سماع (إنت عمري) لها"

-" أو (ألف ليلة وليلة)"

-"يللا نعيش في عيون الليل.. ونقول للشمس.. ."

-".. تعالي تعالي.. تعالي.. بعد سنة.. مش قبل سنة.. "

-" روعة فعلاً! "

ها هو الغذاء قد حضر.. سبقته رائحته التي فعلت بهما الأفاعيل.. لن

يكون الطعام مهذباً يوماً ويحجب رائحته المعذّبة هذه.. كانا جائعين فعلاً..

-" بابا.. سمّع لي بقى وانت بتاكل"

-" يا إسلام يعني خلاص؟ الدنيا طارت؟.. التزم الصبر يا صغيري لبعض الوقت وسأفعل لك - بصدق - كل ما تريد.. كما لابد أن تكون حريصاً في أكلك.. اترك شيئاً لعمك إسحاق! "

-" لا ياخويا، اطلع منها ولا شأن لك.. إسلام ولد زي العسل وأنا مرتاح للغاية في أكلي.. كُل في صمت"

-" أهذا جزائي؟.. صحيح! خير تعمل شر تلقى"

غداء فشاي فحديث غير مبتور كالعادة..

لم يكن الطعام - على قلته - ليشبعهم؛ لكنهم قد شبعوا بحق لا عن تظاهر.

دخل الابن الآخر شقيق إسلام مقتحماً المكان.. حضر لتوه من الخارج. وقف يلتقط أنفاسه اللاهثة ثم قال:

-" إلحق يا بابا.. هل سمعت آخر الأخبار؟.. يقولون أن مجموعة من الشباب المسيحي أقاموا عرضاً مسرحياً يسخرون من خلاله منا نحن المسلمين ومن ديننا، وتم تشويه صورة الإسلام جداً.. بعد ذلك تم تسريب الـ (CD) الذي يحوي هذا العرض لمجموعة من الشباب المسلم فأقاموا ثورة شديدة، وذهبوا لمقر الكنيسة المسئولة عن ذلك وأقاموا الدنيا ولم يقعدوها.. البلد كلها مشتعلة في الأسفل بسبب هذا الموضوع، والمظاهرات في قمة تأججها! "

كان الابن يحكي ما لديه وفور أن فعل نظر له أبوه بنصف ابتسامة وقال له:

-" ماذا تقول يا عبيط انت؟!"

أما إسحاق فقد التقى حاجباه في تفكير مدهوش وقال بدوره: " ما هذا الكلام الفارغ؟!"

نفّض عبد الرحمن بحذق غبار حديث الابن من حولهما وقال:

-" دعك منه، أنه يخرف.... قل لي.. ألن تفاجئني مرةً بعمل أدبي لك؟! لقد سئمت تخاذلك يا أخي! "

لم يحر إسحاق رداً وبات واضحاً من عينيه الشاخصتين أن فكره قد شرد بعيداً..

-" إسحاق.. أنا أحدثك"

-" هاه؟.. عفواً عبد الرحمن. لم أنتبه! "

قام عبد الرحمن من فوره ليفتح التلفاز لعل الوضع يعود لما كان عليه منذ دقائق..

-" يا أخي نشرة الأخبار هذه لن تأتينا بشيء مفرح أبداً؟!"

-" أتمنى أن يُفرحونا مرة ولو على سبيل السهو"

-" لابد من شهداء في كل ساعة.. فلسطين والعراق خلاص على وشك الانتهاء.. الواحد منا يحترق من داخله بالفعل"

-" هذا بالإضافة إلى كابوس الأمريكان.. ما من مصيبة تحدث إلا ويلصقوها بتنظيم القاعدة"

-" أفلام محروقة كلها والله.. لم يعد هذا يقنع طفلاً صغيراً.. الله يحرق إسرائيل على أمريكا على البلاوي اللي زيهم في يوم واحد! "

-" يا رب يا أخي"

الحوار الساخن متواصل، والجو الحميم مسيطر على المكان..

-" متسمّع لي يا بابا بقى!.. يوووه.... عذراً يا عمو إسحاق لكن

الأستاذ سيأتي لإعطائي الدرس بعد نصف ساعة، وأخبرني أن هذه أهم قصيدة في المنهج ولابد أن أكون حافظاً إياها بإتقان"

قبل أن يجد فرصة للرد فوجئ بصوت المذيع يدوي كأنما أوتي ألف ألف مكبر صوت؛ ناقلاً استهجان الولايات المتحدة الأمريكية لما يحدث في مصر؛ مشيراً إلى أنها – أي الولايات المتحدة – توصي بإيفاء الأقباط المصريين حقهم ومنع الاضطهاد الواقع عليهم في الأراضي المصرية.. حتى لا تضطر للتدخل بنفسها في هذا الصدد..

كست الحمرة وجه إسحاق.. التمع الغضب واضحاً في عينيه، وأشاح بوجهه في عنف عن شاشة التلفاز.. لم يحتمل ضغط النبأ فهوى بقبضته بمنتهى القوة على سطح المكتب أمامه مفرغاً غضبه؛ فتهشم الزجاج تحت وقع قبضته، وهتف: " اللعنة! "

غرق الجميع في صمت لم يبدده إلا صوت مذيع النشرة وهو يسهب في سرد تفاصيل وتطورات الوضع..

–" من فضلك أخرس هذا الشيء الأحمق! "

قام عبد الرحمن لغلق التلفاز بعد أن هتف إسحاق بالعبارة، وعاد لموضعه كي يجلس عابساً..

وقف إسلام حائراً لا يدري ما يفعل!.. أما شقيقه فقد اختفى.. وسيطر العبوس على كلٍ من إسحاق وعبد الرحمن..

وساد الصمت..

فقط كانت نظرات العيون الستّ هي اللغة المتبادلة.. وفي مبادرة جرحت هذا الصمت؛ نظر عبد الرحمن لإسحاق وقال في ضيق: " كان بإمكانك أن تكون أكثر هدوءً"

أشاح إسحاق بوجهه مجدداً، والتأم جرح الصمت ليفرض سلطانه على

الغرفة ومن فيها..

انتعشت لغة العيون من جديد.. أخذ كل منهما ينظر للطفل الواقف أمامه..

إسحاق لا يجرؤ أن يدير وجهه لينظر في وجه صديقه فينظر بدلاً من هذا في عين الطفل إسلام.. وكأنما يأمل أن يرى انعكاس صورة صديقه في عيني هذا الطفل..

وعبد الرحمن ينظر لعيني طفله وكأنما يأمل أن يرى فيهما وجه صديقه راضياً يبتسم..

وإسلام واقف بينهما كالعادة.. يفكر في أنه لو طلب تسميع النص من والده الآن سيكون سخيفاً؟

-" آسف يا عبد الرحمن.. لقد كان انفعالي زائداً"

صدرت هذه العبارة الخجلى من فم إسحاق في تردد فأشرق وجه عبد الرحمن بابتسامة وقال:

-" لا عليك يا صديقي.. لا اعتذار بيننا"

-" حسناً.. ماذا كنا نقول؟"

-" بابا.. ... ."

-" معلش يا إسحاق.. قبل أن نكمل يومنا، وقبل أن نفعل أي شيء.. دعني أسمّع النص لهذا الولد كي أتخلص من إلحاحه.. "

ضحك إسحاق أخيراً وقال:

-" لا مانع.. حسناً، تفضل يا أستاذ إسلام"

أخذ إسلام نفساً عميقاً، واستعد فقال:

" أحلف بهذا البلد

ما يوم جبينا سجد

إلا لفردٍ صمد.. مسلم مع مسيحي
أسامينا مختلفين
دياناتنا مختلفين
والكل مصريين.. مسلم مع مسيحي
وف ليلة الجمعة
كان القمر بيقيد.. عناقيد تسلينا
رحنا سوا الجامعة
ضمينا إيد على إيد.. وحاربنا في سينا
معرفش كام دمعة
سالت على خدي.. وبرّدت صهدي
خليتنا غنينا
ورجعنا منتصرين.. مسلم مع مسيحي
ولو احكي ما تكفي.. حكايات ورا حكايات
الأمس فيه عبرة.. حتى اسألوا اللي فات
أنا أملي في بكرة والركّ ع الغاايات
لكن عِدا بلادي
بيفرقوا ولادي وبيزرعوا العداوات
أسامينا مختلفين
دياناتنا مختلفين
والكل مصريين.. مسلم مع مسيحي *"

---

* القصيدة للشاعر (عمر نجم) بتصرف

طارت الكلمات من فم الصغير.. تعدّت النافذة لتحلّق فوق الحشود الغاضبة في الشارع وتذيبهم خجلاً. فتّتت أجسادهم وأجساد فريق المسرح المزعوم – وربما الإدارة الأمريكية كذلك! – وحولتهم إلى ذرات..

ذرات صارت هشيماً تذروه الرياح.

* * *

السبت – 4 مارس 2006

حكاية (س)

يَحكي فَننصتُ وَلو طَالت حَكَاياهُ . .

كَمَاءِ النَّهرِ بَعدَ الظَّمأ يَروينَا . .

. ....

* * *

خلال الليالي الأولى لهما هناك، في عزلتهما في قلب الصحراء.. ولأنه لم يزل يتخلص بعد من تأثير أحداث العالم البغيض على رأسه.. فقد حكى (شادي) لـ(ياسمين) — من خياله الشخصي - حكاية (س)..

" يُحكى أنه في وقت من أوقات الله المنقضية.. وقتٌ مهما دار فيه من ملاحم وأهوال فلن يؤثرُ في ناموس الكون، ولن يُحدث خللاً في ترتيب الفضاء السرمدي.. في وقت كهذا يُحكى أن حاكماً حَكَم لفترةٍ طويلة وبلغ جبروته الذروة، وانتعشَت حركة الاعتقالات مستيقظةً من سباتها، وتجلت كل المظاهر لديكتاتورية شبقة تتوق لأفاعيل حاكمٍ ديكتاتور..

تكررت نفس المشاهد التي كنا نقرأها في كتب التاريخ المكسوة بالغبار، والتي كنا نشاهدها في أفلامنا القديمة..

وجوه الثوّار احمرت غضباً، الأقلام المتحمسة تكسو الصفحات، وإعلامٌ يظل فاسداً لأنه طوع أمر الحاكم..

ووسط هذا كله انطلقت كلاب الحاكم مشمشمةً تبحث عن كل من كفر بالحاكم وعرش الحاكم، واكتظت المعتقلات..

اعتقلوا على رأسٍ من اعتُقِل الكاتب (س) الذي أشعل – وحده – التمرد في الشعب مراراً وتكراراً..

(س) الذي دوّخ كلاب الحاكم، والذي أذل قلمه ناصية كل آثمٍ في البلاد..

أدرك الحاكم أن (س) هو المتحكم في قلوب الشعب قاطبةً فأذّن في كلابه أن اخرسوا هذا الصوت..

أودع (س) أقذر السجون، وكان ما يثير جنونه أنه سيُحرم من الكتابة للشعب، وحتى ولو سمحوا له باصطحاب أوراق وقلم داخل سجنه – وهذا من رابع المستحيلات – فإنه بهذا يكتب لنفسه فقط..

هو المسئول عن يقظة هذا الشعب.. هو القادر على أن يُحدث شيئاً.. من لهذا الوطن بعد الله غيره؟

تمكن (س) بأحد الحيل أن يصطحب معه هاتفه المحمول داخل السجن؛ مخفياً إياه عن عيون كلاب الحاكم.. وبالاتفاق المسبق مع الزميل (ص) أوصى بأن يتم تحويل الرصيد بصورة مستمرة لهاتفه المحمول هذا..

وطفق (س) يكتب ليل نهار قصصه ومقالاته المستعرة ناراً علي محموله في ظلمة السجن.. داوم على إرسال هذه الأعمال – مستخدماً محموله – للجهات الكثيرة التي تعامل معها دوماً، والتي تتوق هي نفسها لنشر ما يكتب..

وعادت قصصه ومقالاته لتزيين الصحافة الثائرة تحت توقيع: وطني..

وعلى عرشه لم يكف الحاكم عن الانتفاض غضباً لّما علم بأمر هذا الـ (وطني) – أو ربما كان ينتفض بسبب بعض النتوءات غير المريحة في كرسي عرشه.. لا أحد يعلم! –.. وانتاب السعار كلابه..

انطلقوا يعيثون فساداً في الأرض من جديد..

وعلم (س) بنبأ مقتل (ص) .. بكى يومها كما لم يبكِ منذ زمنٍ بعيد،

وحزن كثيراً لّما أيقن أن مصير نشر أعماله هو التوقف لأن رصيد هاتفه المحمول سينفذ نتيجة لموت (ص) ..

ومر يومان و (س) يخزن أعماله – محسوراً – على جهازه.. وذات ساعة فوجئ بتحويل الرصيد إليه..

لا يدري من أين!.. لكن من قال أنه يهتم!.. سارع على الفور بإرسال ما خزّنه للجهات المعتادة..

كان يصر دوماً على التنبيه بضرورة التوقيع: وطني.. بدلاً من اسمه؛ كي لا يكشف الكلاب أمره ويبحثوا فيما يخصه ويفتشوا ثيابه ويصادروا الجهاز؛ فيتوقف نشر ما يكتب للأبد ويموت مقهوراً.. وأيضاً كي يدرك الحاكم وكلابه أنهم ان استطاعوا أن يخرسوا صوتاً.. فإن ذلك لن يمثل النهاية السعيدة التي يحلمون بها.. وأنه ستظهر آلاف الأصوات كي تبرهن على عجزهم أمام إرادة الشعب..

ظلت تحويلات الرصيد التي لا يدري مصدرها تأتيه دوماً، وظل يتجاهل التفكير في مصدرها مؤمناً أن هذا لا يهم. شاغلاً نفسه بقضايا أكبر..

وظل لا يعلم أن كل طفل في البلاد يدّخر من مصروفه ليقوم بتحويل رصيد لرقم هاتف (س) المحمول..

وعلى عرشه ظل الحاكم ينتفض غضباً لما بلغ لهذا الـــ (وطني) من تأثير..

أو ربما كان ينتفض بسبب بعض النتوءات غير المريحة في كرسي عرشه..

لا أحد يعلم! "

وعندما انتهى (شادي) قال لها: · أحكم الليل علينا عباءته الحالكة.. وجف معيني! · وناما.

* * *

الثلاثاء – 2 مايو 2006

فقط لو تصمت!

عادت (خير) زوجة (سلطان) من الخارج.. كانت قد خرجت لزيارة أمها كي تشاركها العجين والعناية بماشيتها مثلما تفعل كل أسبوع.. وها قد عادت..

منذ الوهلة الأولى التي رآها فيها (سلطان) تطل من باب الدار؛ أدرك أن شيئاً ليس على ما يرام..

-" سا النور يا سي (سلطان)"

فور أن وضعت ما تحمله على رأسها أرضاً أخذت تنظف ما علق بثوبها الريفي من قذارات العمل.. نظر لها (سلطان) ثانيةً وأدرك أن شيئاً ليس على ما يرام..

رأى وجهها المنهك. وجهها دائماً منهك.. جسدها الذي ثقلت حركته. هو كذلك منذ زمن..

لما رأت الفضلات التي أحدثها بعد أن جلس يمص عيدان القصب.. انحنت انحناءها الريفية القاسية الأبدية فصار ردفاها أعلى ما فيها، وطفقت تنظف المكان..

(سلطان) في جلسته كما هو مسندُ ظهره للحائط وكوب الشاي في يده؛ يشملها بنظرة لا مبالية..

فجأة أطلقت صرختها الواهنة ووقعت.. انتبه فوضع كوب الشاي على الأرض بحرص كي لا يسقط محتواه، ونهض في تثاقل يرى ما بها.. لما مسّها باغتته حرارة جسدها المفرطة في الارتفاع.. جذبها إليه وأسندها لجسده وسارا معاً ليضعها على السرير النحاسي وهو يقول..

-" سلامتك"

تمددت على السرير وظلت مغمضة العينين في ألم.. انتعش تعب اليوم كله فجأة ليفرض سطوته على جسدها.. يا للإرهاق الخبيث!

خرج صوتها ضعيفاً واهناً للغاية وهي تحدثه..

-" آه يا سلطان.. حاسة إني مولعة ومش عارفة أحرك حتة في جتتي.. جتتي كلها بتنقح عليا.. هموت يا سلطان"

سلطان واقف يرمقها في بلادة..

-" سلامتك"

شعر أن عليه أن يفعل شيئاً فتخطى عتبة داره للخارج عدة خطوات.. وما لبث أن أوصى أحد الفتيان أن يسرع في طلب الـــ (حكيم)..

عاد إليها ووقف يرمقها بينما أنّاتها وألمها لا يتوقفان.

-" آه يا سلطان! "

ثمة شعور يشعر به!.. لا.. ليس هذا وقته.. نظر لها ثانيةً فوجد قطرات العرق قد تفصّدت على جبينها.. قطراتٌ هي مبعوثة المرض.. ليشفِها الله.. إنها بنت حلال وأبوها رجل صالح وسيتعذب لو أبصرها على هذه الحال.. إن هي إلا دقائق ويموت ألمها.. فالحكيم قادم وهو حتماً يعرف ما يفعل.. فقط فلتكفف عن إصدارها لمثل هذه الأنّات.. فدلال المرأة وتهويلها للأمور شيءٌ بغيض!

-" الحقني يا سلطان.. آه يا سلطان"

يا رب الكون!.. لماذا العذاب؟.. (سلطان) يقنع نفسه ألا وقت لهذا الآن، ويحاول أن يسيطر على شعوره.. يقاوم.. ينظر لجسدها الذي يرتعش. لوجهها المحمرّ مرضاً. لقطرات العرق على جبينها. يمسّ جبهتها براحته كي يشعر بحرارتها المرتفعة فتتعزز مقاومته.. أجل.. يا لها من مسكينة.. الحكيم

قادم.. لابد قادم.

-" آه يا سلطان"

أين أنت أيها الحكيم المنتظر؟.. الشعور يراوده بشدة فينظر لها.. تركيزه على رعشة المرض فيها واحمرار وجهها بقطرات عرقه وحرارتها المرتفعة - قد قلّ.. وأصبح لا مهرب من عذاب عبارتها.. ذكّرته العبارة رغماً عنه ببرود هذا الجسد المتمدد أمامه في كل مرة احتضنها في الليالي الفائتة.. البرود الذي يقف سداً أمام جيش شهوته.. أو يمثل عقبة على الأقل.. ليشفك الله سريعاً يا (خير).

-" آه يا سلطان.. آاااه يابي! "

عبارتها وآهتها تحاصره أينما ذهب.. تشل تفكيره البليد أصلاً.. لكن لا.. سيحرص عليها من أجل خاطر أبوها الحاج على الأقل.. لو ظلت مريضة فستشقى أمها، وستملأ الفضلات صحن الدار عندما يمص عيدان القصب.. فقط لو تصمت (خير)! فلتكف على الأقل عن التأوه.. لكم تاق أن يسمع منها تلك الآهة وهذه العبارة المستنجدة!.. لكم سمع - على المقهى مساءً مع الرجال - عن حكايا قفّ لها شعر رأسه.. عن صراعات في الفراش جعلت النار تسري بين فخذيه.. فقط لو تصمت هذه المرأة!.. فقط لو تصمت!!

صمتت (خير).. أراحها النوم مما هي فيه، وتوقف ترديد العبارة المعذّبة.. أين أنت يا حكيم البلدة؟.. عليك اللعنة أين أنت؟!!

ظل واقفاً يطيل النظر إليها.. جيد.. لتظل نائمة إلى أن يأتي الفرج.. ولكن.. . ولكن ألن يسمع تلك العبارة لمرة أخيرة قبل مجيء الحكيم؟!

فكر في شيء!.. اقترب من السرير أكثر ولكز الزوجة في كتفها، وسأل بنفس النظرة الغبية:

-" خفيتي يا بت يا خير؟ ؟"

استيقظت وبدأ الوجع يعاود ارتداء جسدها رويداً رويداً مرة أخرى.. استفاقت ونظرت له وقالت بنفس الصوت الضعيف الواهن:

-" عيانة يا سلطان.. هموت باين.. آه يا سلطان الحقني"

هل ستصيبه منها عدوى لو فعل؟!.. لا.. يجب ألا يفعل.. هي مريضة. أبوها الحاج. فضلات الدار. أمها ستشقى. الحكيم قادم.. لابد قادم..

فليخرج من سجن عبارتها المعذّبة هذه.. لن يســـــ(آه يا سلطان)ـــــمح لنفسه أن يفعـــــ(آه يا سلطان)ـــــل.. إن هذا أبداً لـــــ(آه يا سلطان)ـــــن يكون..

-" آه يا سلطان"

اقترب (سلطان) من السرير أكثر ثم اعتلاه.. نظر لها.. عرّى نصفها السفلي والتحم بها.. ارتعبت هي وانتابها جزعٌ عظيم وصرخت: " لا يا سلطان".. التحم أكثر وأخذ يمارس عربدته في جسدها بسعادة لأول مرة..

صراخها تحته لا يتوقف، ولكن من قال أنه يسمع!

* * *

عندما وصل الحكيم وجدها ميتة..

ووجد (سلطان) إلى جوارها مريضاً غير قادر على الحراك!

* * *

الجمعة - 24 مارس 2006

لا شك أنه لا يمزح

(1)

شارع، وبشر، وسيارات.. ونحن..

يجمعنا موعد ككل يوم.. عن شيءٍ يجلب التسلية نبحث..

لا نجد ما نفعله في يومنا غير الالتقاء والمرح والصخب، ولا ضير من بعض الأذى للناس..

دائماً ما تلقانا في الشارع..

الشارع، يتناثر فيه البعض هنا وهناك، شارع هادئ نوعاً ما لا يخلو من ضجة..

عراكٌ بين أولنا وأحدهم، بينما يتولى ثانينا مغازلة حسناء متجاوبة مما يدفعه للتمادي والتطاول، وثالثنا متكفِّل بدسّ إبرة سميكة في إطار تلك السيارة هناك..

حياة طريفة كما ترى.. خواء كما لابد أنك لاحظت!

ولكن أين أنا من هذا؟! هل أقف مشاهداً وأفقد مكانتي بينهم؟!

لكن بالفعل لا يوجد ما أفعله، هدوء مستفز ذلك الذي يخيّم على الشارع اليوم..

ما الحل؟!

انتهى عراك أولنا بإسالة دماء الخصم الحارة، وظفر ثانينا بميعاد ليلي من الحسناء، وعاد ثالثنا بعدما غدا إطار السيارة غير صالح بتاتاً..

وقفوا أمامي يتطلعون إليّ بنظرة ذات مغزى. نظرة متسائلة مستحثة مستفزة في نفس الوقت..

صامتون، لكن عيوننا كانت تتحدث..

احمرّ وجهي واندفعتُ أمامهم راكباً دراجة كانت في مواجهتنا لا أعلم من صاحبها، وانطلقتُ بها كالصاروخ في وسط الشارع..

أحدد الهدف، أدنو منه، أستعد.. و.. .

تنهال يدي بالصفعة على قفاه فينتفض في منظرٍ مضحك محتضناً بركة الوحل.. أُكمل طريقي مسرعاً متعمداً عدم النظر إلى الوراء.. وضحكات ثلاثتهم مدوية تبلغ مسمعي لكي أنتشي، فترتسم على شفتيّ ابتسامة انتصار سعيدة.

(2)

شارع، وبشر، وسيارات.. وأنا..

أخرج من عملي متأخراً ككل يوم.. عن عيشة هنيئة ولقمة حلال أبحث..

لا أجد في يومي وقتاً لشيءٍ أفعله؛ غير تلقّي المزيد من المهانة والذل، وأطنان من أوراقٍ هي سبب شقائي.. ولا ضير من استقبال بعض الأذى من الناس..

هي أول مرة تلقاني في هذا الشارع..

الشارع، يتناثر فيه البعض هنا وهناك، شارع هادئ نوعاً ما لا يخلو من ضجة..

عراكٌ دامٍ بين اثنين، بينما يتولى أحدهم مغازلة حسناء متجاوبة مما يدفعه للتمادي والتطاول، وشخص متكفّل بدسّ إبرة سميكة في إطار تلك السيارة

هناك، وشابٌ واقف يرمق ما يحدث محاولاً أن يبحث له عن دورٍ وسط هذا كله.

الحطاط كما ترى.. خواء كما لابد أنك لاحظت!

تظفر هذه المشاهد بثوانٍ ثلاث لتشغل فكري، أغرق بعدها مفكراً في إيجار سكني المتأخر، وإرضاءً رئيسي سليط اللسان، وتكاليف علاج والديّ الباهظ، وجرائم شقيقي الأصغر، و.. ، و.. ، و..

أحلّ ربطة العنق مستجلباً المزيد من الهواء حتى لا أسقط ميتاً.. و.. ...

تنهال يده بالصفعة على قفاي فأنتفض في منظرٍ مخجل، وأسقطُ أرضاً محتضناً بركة الوحل.. يكمل طريقه مسرعاً متعمداً عدم النظر إلى الوراء، وضحكات البعض مدوية تبلغ مسمعي..

أنهض من بركة الوحل بمنظري المُخجل، وأحاول مسح ما اتسخ من ملابسي فلا يؤدى ذلك إلا لاتساع رقعة الطين أكثر..

يضحكون.. يخترق البغض المطلّ من عينيّ جدار الدمع ليسلك طريقه نحوهم، فتُشتِّت ضحكاتهم بُغضي في الهواء..

لا زلتُ في مكاني.. في وسط الشارع.. لا أدري أي رد فعلٍ أُبدي أمام تلك الرؤوس المطلّة من نوافذ السيارات ومن نوافذ بعض البيوت لترمقني بسخرية..

لماذا؟!!

شخصٌ لم يسبق له معرفتي، ولم أرَ وجهه في حياتي، لا نمتُّ لبعضنا بصلة.. لماذا يصفعني على قفاي؟!!.. ماذا فعلت له؟!!.. لا أريد أن أسمع شيئاً عن تفاهته، أو أن هذا مجرد مزاح ثقيل..

كلا!..

ليس تافهاً.. بل أنا التافه، ولذلك صفعني على قفاي وصفع معي كل ما

قرأت، وكل شهاداتي، ومؤهلي العالي..

ضحكاتهم مدوية تبلغ مسمعي..

أنا التافه، أنا الذي يهينني رئيسي ويكرهني زملائي، أنا من فلت أخي من سطوتي لتفاهتي، ومن لم أتحمّل مسئولية أمي التي تموت..

ضحكاتهم مدوية تبلغ مسمعي..

لا يعرفني ولا أعرفه.. فلماذا؟!

أنا التافه.. أنا التافه.. أنا التافه!..

جاءتني ضحكاتهم مدوية تبلغ مسمعي لآخر مرة؛ قبل أن أرمي بنفسي أمام الشاحنة العملاقة..

وتسحق عجلاتها عظامي.

* * *

الاثنين – 25 أكتوبر 2004

زنوبيا

هرب من ذلّ شاشة التلفاز.. ونهض!

اتجه لمكتبته وانتقى منها كتاباً، وجلس منتوياً مطالعته..

لا زال شبح شاشة التلفاز - بما كانت تعرضه - يطارده.. دفن بصره سريعاً في كتابه..

وطالعَ أولى الصفحات.. .

" هذه (تدمُر).. وتلك (زنوبيا)..

(تدمُر)، و (زنوبيا) اللتان لم يسبق لهما المثول على الأرض قبلاً..

الملحمة الدائمة للنقاء ضد الغول الملوّث..

مزّق ثوب الحاضر، وحطّم الأغلال التي فرضتها الحقائق.. وعِش ذاك الزمن..

هذه (تدمُر)، وتلك (زنوبيا).. بعيداً عن أي قيود تاريخية..

فقط كان المصدر.. .

نغم الصوت الفيروزي."

انتقلَ للصفحة الثانية..

واندمَج.

* * *

على عرش (تدمُر) جلست (زنوبيا).. ملكةً، حاكمةً، مقدسةً، محبوبةً من شعب (تدمُر)..

تظنها - إن أبصرتها - شمساً تشرق ليل نهار.. تبث ضياء الحب والعدل؛ لتملأ بهما كافة أرجاء (تدمُر)..

تراها بين قومها، ووسط شعبها نبع عطاءٍ يجود بالكثير من الخير. تجزم بأنه لا ينضب..

يفيض وجهها بسحرٍ وضّاء.. يفيض بابتسامة تُرغم الطمأنينة على أن تنسرب إلى قلب ناظرها..

تفيض ابتسامتها بحبٍ.. برضا.. بسلامٍ يدفعك لأن تتشبث بتلابيب الحياة، معانقاً إياها..

إن رآها طير (تدمُر)؛ رفرفَ بجناحيه تحيةً لها..

وإن سرت رقة أصابعها على شحوب وردة؛ فاضت الوردة بالنضرة..

أفئدة شعب (تدمُر) فرداً فرداً؛ جميعها تتعلق بالملكة (زنوبيا)..

تمر بينهم، وقد أحاطتها الهالة التي طالما حاروا في أمرها.. كأن ملكتهم قطعةُ نورٍ مُقتصة من أسرار السماوات قد وهبت نفسها لهم..

إن أبصروها مارةً بينهم؛ أمطروها بوابلٍ من التمنيات الصادقة، وانهالت على رأسها الدعوات المستجابة، وأمدوها بنظراتٍ تُسكرها سعادةً.. إذ هي كل ما تبغيه (زنوبيا) في هذه الحياة.

وأخذ الزمن يأكل من الأعمار.. ويقضم قضمات متسارعة من الأعوام..

والخير في (تدمُر) ينتشر ليجعل منها جنة أرضية..

وشعب (تدمُر) يسير بخطىً ثابتة في الطريق نحو (يوتوبيا)..

وملكة (تدمُر) لا زالت كما هي. تفيض شباباً، وسحراً، وحباً، وعطاءً..

ليبقكِ الرب يا (زنوبيا).

* * *

في قصرها الملكي.. في شرفة قصرها الملكي؛ تقف (زنوبيا) شاردة، كتمثالٍ رخاميٍ أبيض من صنع فنانٍ لم – ولن – يوجد على الأرض..

جديرةٌ هي بالتأمل.. تستحق أن تتسمر في مكانك لأجلها بعض الوقت.. سحر عينيها سيجبرك..

ليس بإمكان أحد أن يقول أنها ذات بشرة شديدة البياض.. فلفظة (بشرة) تسري على بني آدم وحدهم، وكذبَ من وصفها بـ (أجمل البشر)؛ فجمال كهذا من المحال أن يكون جمالاً بشرياً..

لآلئ بيضاء لامعة تظهر من خلف شفتيها عندما تتألق بسمتها الصافية الواسعة..

مياهٌ عذبةٌ لبحرٍ أزرق تصنع أمواجاً هادئة تسحبك داخلها.. عندما تنظر لعينيها..

عينيها.. عينيها الشاردتين..

الملكة (زنوبيا) في شرفتها تقف شاردة..

تتقدم وصيفة الملكة للشرفة معتصمةً بحبل الصمت.. تنظر لسيدتها – التي توليها ظهرها – في عطف ولا تُحدث صوتاً، محترمةً بذلك شرود (زنوبيا)..

(زنوبيا) كما هي لا زالت.. والوصيفة على وضعها.. تفكر.. ترجو الأقدار أن تظل على عهدها مع (زنوبيا)، وأن تترك شعب (تدمُر) يرفل في الخيرات بفضل (زنوبيا) بعد الله..

وتتضرع الوصيفة للأقدار.. تتوسل.. تتمنى أن تبتعد يد العبث عن السامية (زنوبيا).. وعن نعيم مملكة (تدمُر).

تشفق الوصيفة على ملكتها.. تحبها.. تحاصرها بدعواتها على الدوام، فلقد لحظت منذ أيام عبارةً غدت (زنوبيا) الجميلة ترددها بكثرةٍ وهَمّ..

-" اسم (أورليانوس) العظيم أصبح يجري على ألسنة شعب مملكة (تدمُر) مصحوباً بخوفٍ مقيت.. أشباح (روما) تلوح في الأفق.. أشباح روما تلوح في الأفق"

أشباح روما تلوح في الأفق.

* * *

تعزف السيوف على أوتار الحرب الدائرة الآن؛ ليبرز الصوتُ الموسيقيُّ المتوتر لصهيل الخيول الممتزج بصليل سيوف الجيشين..

الجيشان ملتحمان.. جيش الملكة العظيمة (زنوبيا)، وجيش الذئب (أورليانوس)..

وقع سنابك الخيل.. الغبار الناتج عن ذلك.. الرذاذ الأحمر المتطاير بلا توقف.. إنها حربٌ بلا ريب..

حربٌ تثبت ألاّ حدّ لشيطان أطماع (روما)، وأن (أورليانوس) هو مبعوث الجحيم..

وهو!.. هو يقاتل الآن..

(هو) جندي في جيش مملكة (تدمُر)..

وسط الجحيم المحيط به؛ يحارب..

سابحاً في أنهار الدماء المتدفقة.. وسط الصراخ.. بين الجثث، ينظر للسماء فيرى صورة (زنوبيا) العظيمة المبتسمة.. فيحارب.. يحارب.. يحارب..

يجب أن يستميت، يجب ألا يسقط.. من أجل (زنوبيا)، من أجل (تدمُر)، من أجل خير (تدمُر) ونعيمها..

يجب أن يقاوم.. غدا السيف جزءً من ذراعه، وهو بسيفه قد غدا جزءً من حصانه..

الويل لــ (روما).. الويل لـــ.... .

سقط..

نهض ثانيةً.. لن يموت.. لن يموت قبل أن يبيد تلك المسوخ، قبل أن يدفعهم بعيداً عن معشوقته (زنوبيا).. قبل أن يدفعهم بعيداً عن معشوقته (تدمُر)..

الخيرُ خيرُ شعب (تدمُر)..

لن يموت..

أطاح سيفٌ بذراعه.. سقط ثانيةً.. ليصمد..

جندي (روما) ينظر له نظرةً يكرهها، ويرفع السيف ليعيد الكرة..

لن يموت..

طار الذراع الآخر.. والدماء تسارع بالهرب من جسده..

السيف الروماني القذر يهوي مرة أخرى نحو رقبته..

صرخ:

-" لتحيا (تدمُر) العظيمة.. لتحيا (زنوبـــ.... .. .)"

* * *

زحامٌ في بهو القصر الملكي..

الملكة، وحاشيتها، والشيخ حكيم (تدمُر)، وحشدٌ من الشعب، والحراس..

الكل قد اجتمع يتشارك القلق.. الهلع.. الذعر..

في انتظار وصول نبأ عن الحرب قد يحسم كل شيءٍ..

قد تعلو راية مملكة (تدمُر) تصافح السماء، وقد تنال راية (روما) هذا الشرف..

قد تصرخ الحناجر هتافاً باسم الملكة الممجّدة (زنوبيا)، وقد يخرس الجميع من جرّاء هول (أورليانوس)..

أيا جيش المملكة لتصمد..

الملكة على عرشها؛ وصمتٌ مترقبٌ سائد..

بين الحين والحين هوي كلمة مقتضبة من أحدهم ليردد بهو القصر صداها وسط أجواء الصمت، فتجدد بذلك اشتعال براكين القلق والخواطر السوداء من جديد..

نقاشٌ متقطع يدور.. ليزيد من عذابات النفوس الهلِعة، وليحصّن سجن الأنفاس المحبوسة..

وكل من يرى في نفسه أنه قد بلغ من العذاب مبلغه؛ فلينظر فقط لـ (زنوبيا)..

الملكة الجميلة توزّع نظراها الثابتة على من حضر في بهو قصرها..

من فتحة البهو مرق سواد غرابٍ فوق رؤوس الجميع ناعقاً بصوت مدوٍ مزعج..

فرض الاضطراب حينها قوانينه في البهو، وعلت الهمهمات، وتشكلت الحواجب على الوجوه لتصنع لوحاتٍ من رعب، وقلق، وذهول، وترقب.. وغضب..

ثارت الزوابع في نفس (زنوبيا)، وغطى استياؤها من فعلة المخلوق الأسود الطائر في هذا التوقيت تحديداً على تفكيرها.. لكنها لم تسمح لانفعالٍ كهذا أن يلوث صفحة وجهها الرائقة.. فهي ستظل (زنوبيا)..

لم يفلح الشيخ الحكيم في أن يحذو حذوها، وأبدى استياءه..

-" إن هذا نذير شؤم"..

نذير شؤمٍ يا (تِدمُر).. ماذا يخبئ لكِ القدر؟!

يكتمل المشهد.. ويتم توزيع الأدوار..

يشق أحد رجال الملكة بهو القصر، مندفعاً من الخارج، عابراً وسط الأجساد، صارخاً:

-" مولاتي الملكة.. تعلن أبواق الرومان نهاية مملكة (تدمُر)"

تدلت الفكوك.. اتسعت العيون..

ضاعت (تدمُر)!!.. انتهت..

حان وقت الاستيقاظ من حلمٍ دام لسنوات في حكم (زنوبيا)، والاستعداد لولوج عالمٍ كابوسي نسج (أورليانوس) خيوطه..

لتخرج يا شعب المملكة من الجنة مسافراً لجوف جهنم..

لا (زنوبيا)!.. الملكة الجميلة المنيرة ستختفي.. ستنتهي.. ولن يرفرف طير (تدمُر) بجناحيه تحيةً لأحد بعد الساعة، ولن تفيض الورود بالنضرة.. كل ما ستناله الورود من عهد (تدمُر) المحتلة بعد اليوم؛ هو الذبول.. والموت..

ضاعت المملكة.. وضاعت الملكة.. وضاع الشعب..

لن يرحموكِ يا (زنوبيا).. لن يرحموك..

كان صوت الحكيم هو أول صوتٍ دوّى بعد وقع النبأ المشئوم.. إذ نظر للسماء بعينٍ تدمع، ونطق بصوتٍ صخريٍ له عمق الزمن، تحاصره المرارة من كل جانب..

-" (تدمُر).. حاصرتك (روما)، واستشهد أبطالك، ونحيبك في الجانب الآخر من الأرض مسموع.. يا (تدمُر) يا نجمة المشارق.. "

تندفع الوصيفة نحو الملكة صارخةً فيها أن اهربي يا (زنوبيا). اهربي يا (زنوبيا)..

-" شقّي لنفسك طريقاً في الممر السري.. الهروب - بل الضياع -

أكرم إليكِ من ذل (روما).. أسرعي (زنوبيا)"

تحاول الوصيفة إنقاذ رمزٍ قد يكون شمعةً تنير الدرب المظلم..

وقفت الملكة في مكانها على العرش ناظرةً للجميع.. نظرة خاوية قد انطلقت من وجهها الجامد.. وأخبرت الجميع بصوت قوي النبرات أنها لن تسلك طريق الهرب. لن تهرب.. إن هربت الملكة فإن الأرض لن تصحبها..

تكمل الوصيفة مهمتها التي بدأت.. لابد أن تلين رأس الجميلة؛ فأمل (تدمُر) معلّقٌ بها..

وتواصل الإقناع..

-" صدقيني؛ كل شيءٍ في (تِدمُر) يبادر بالهرب.. لقد تسربت مملكتنا السعيدة – طفلة الممالك – من بين أيدينا.. "

حبل المرارة في صوت الشيخ الحكيم لم ينقطع..

-" سنواتٌ طوال من عمر (تِدمُر).. خلالها حكمت (زنوبيا). شيدت حضارة. لتنتزعها في النهاية يد (روما).. يا لسنوات النعيم الطوال التي انقضت كرجفة جفن.. "

استاء ذهن الملكة للفكرة، ورفضت تلك الروح التي شاعت في نفوس شعب (تِدمُر)..

افعلي شيئاً (زنوبيا)..

-" سنواتٌ طوال، عقودٌ طويلة، قرونٌ طويلة.. لا فرق.. كل ذلك يتساوى أمام طاحونة الزمن؛ التي تحيله إلى سطورٍ في سجل التاريخ على أي شكلٍ كان.. لكن من يثبت أمام جحافل الرومان ويصمد؛ فيكفيه شرف ثباته.. سيكون صرخةً أطلقتها (تِدمُر) في وجه الظلم."

رجل الملكة الذي أتى بالنبأ المشئوم لا يرحم.. ويكمل عزف سيمفونيته..

-" انهدم البرج. انكسر السور. هاجم الرومان صوب البحيرة القصية، تملأهم اللهفة.. كلهفة أطفالٍ يتخطّفون أفضل ألعابهم"

-" اهربي يا (زنوبيا). اهربي يا (زنوبيا)"

خالج التوتر (زنوبيا).. غزا ملامحها.. امتشق صوتها..

-" وماذا أنتم فاعلون؟!"

جاءها الصوت المبتسم..

-" نحن سنبقى. نحن عشب الأرض.. والعاصفة تفعل أفاعيلها بالأعلى.. فوقنا.. كل ما تبغيه العاصفة هو تحطيم الورد العالي.. ورد (زنوبيا).. أتت العاصفة من أجلك يا تاج (تدمُر)"

لاح انفعالٌ على الوجه الجميل..

-" قررت (زنوبيا) ملكة المملكة النبيلة؛ أن تختار – لأجل الحرية – الموت.. امنحوني كأس الموت."

في صوتٍ واحد، ونبرةٍ واحدة، وشعورٍ جارفٍ واحد.. أنشد الجميع..

رفضت الملكة العظيمة الظلم واختارت الموت، اختارت النسيان

ودّعوا (زنوبيا) في موسم الدمع بصوت الفرح، بأوراق الرّمان

تألّق تاج الملكة الحبيبة عندما تحركت، وتلاقى الحاجبان الجميلان فوق الجوهرتين الباكيتين.. بكاءٌ أخفته الملكة خلف ستارٍ داخلها..

ترفع رأسها في اعتدادٍ، وتحادث الصديق الذي أيقنت أنه الوحيد الذي سيفهمها.. تناديه..

-" أيا موت، يا زهرة البطولة، يا تاج الحياة، وعطية المحبة الخجولة.... "

تسترضيه..

-".. .. مددت لك يدي.... "

ترجوه..

-".. .. تناولها؛ وقُدني عبر طرقاتٍ قد فُرشت بالنوم والسعادة.... "

خرج البكاء من خلف الستار داخل الملكة في صورة حزمٍ، وقوةٍ، وثباتٍ جعل الحازمة (زنوبيا) تكمل..

-".. . ويا شعب (تدمُر).. سنواتٌ طوال قد عشتموها أحراراً، لكم سماءكم، وهواءكم، وماءكم، وخيراتكم، وهويتكم.. فثقوا أنه قد انهار كل من أسر الحرية يوماً، ولن تستطيع (روما) أن تسلبنا حريتنا"

تلاقى الحاجبان الجميلان أكثر في محاولة منهما لخنق شيطان الدمع؛ الذي انطلق عندما صاحت الملكة العظيمة رافعةً رأسها معتدّة..

-" فلتمنحني كأسك يا موت"

بأقصى ما لديهم من همجية؛ اقتحم جنود الرومان بهو قصر (زنوبيا) الملكي..

وسادت أمارات الذعر، ودوّت الصرخات، وعلا البكاء المرير..

عين الملكة الدامعة قد التزمت الخواء، والشيخ قد طأطأ الرأس مرغماً على استقبال عهد جديد، والوصيفة تنقل بصرها بينهم وبين الملكة في ذهول، لا تصدق أنّ (زنوبيا) والرومان في مكانٍ واحد..

وتَشَارَكَ باقو أفراد حاشية الملكة مع الحشد الموجود من الشعب في رعبهم من هول الموقف.. لطالما حاولوا رسم صورةٍ للرومان في أذهانهم؛ ببزهم الحربية القصيرة، وعُرف الديك الأحمر يعلو رؤوسهم..

ها قد أتت الشياطين وبدأ الاحتفال..

يندفع جندي ذو عُرف ديك أحمر من الخارج، ويشق بهو القصر المزدحم لينطق صائحاً باسم (أورليانوس) البغيض..

تلى ذلك على الفور مقدم ديكهم الأكبر..

ها قد ظهر (أورليانوس) أخيراً.. ها قد تأكد شعب (تدمُر) من نبأ وفاة حلمه.. ها قد أصبحت الخواطر السوداء واقعاً يحياه الجميع.

يدور بعين الذئب المثبتة في وجهه ليتفحص وجوه الجميع، ويثبت بصره عند جمال (زنوبيا)..

يصمت.. يُدرك تأثير ذلك.. فيصمت لبعض الوقت..

وبعد أن يكتفي بالقدر الذي أراد.. يحدّث (زنوبيا) فجأةً:

-" (زنوبيا) الجميلة.. لا عاصم اليوم من أمر (روما).. ولا حتى الموت"

نظرت له، وأطالت النظر..

الملكة الجميلة تجيد إبداء ردود فعلها..

-" أرفض (روما) وسيطرتها"

شيطانٌ أحمر يتبدّى في عيني الثعلب..

-" تعلنين التمرد إذن! "

الملكة معتدّة..

-" أقود شعبي للتحرير.. فهو ما نبغيه"

ساخراً سأل..

-" تُرى هل تدرين ماذا سيكون مصيرك؟!"

نظرت له بخواء، وأطالت النظر.. عينا الملاك تصارع عيني الثعلب..

أجابت الحزينة (زنوبيا)..

-" أُدرك مصيري.. سأكون بساحات (روما)، يكبلني الحديد"

يكمل هو نقش اللوحة على جدار المرارة..

-".. . تسيرين بشوارعنا مغلوبةً ذليلة، ويستمتع الناس بمشاهدة الملكة

(زنوبيا) الأسيرة"

همهمات الحاضرين تعلو.. وصيفة الملكة العظيمة (زنوبيا) تصرخ: " لا! ".. الدموع تفر من مقلتي حكيم (تدمُر) متمتماً: " الويل! "

والملكة تنزع قناع خوائها.. تتبدّل نظرتها..

-" ليكن ما يكون فذلك لا يهم.. لقد لعبتُ الدور الذي أريده لنفسي، وهذا يكفيني"

يغضب فيصيح..

-" لا تخدعي شعبكِ، صارحيهم ولا تقوديهم إلى طريقٍ مسدود، لا تورطيهم معك.. لا تبعثي فيهم بارقة أمل وهمية في تحقيق حلمٍ قد سحقناه.. أخبريهم أنك قد انكسرتِ.. انكسرتِ يا (زنوبيا).. انكسرتِ"

تقول الحكيمة (زنوبيا)..

-" (أورليانوس).. يذهب الانكسار، ويذهب الانتصار.. وبعد قرون، ستصير (تدمُر) المنكسرة، و (روما) المنتصرة - كلاهما - كومة من الحجارة.. وسنصير - أنا وأنت - مجرد تمثالين بساحة الآثار.. لا قيمة لنصرك.. ما أثق به أنه في كل زمان، وبكل مكان.. ستظل الصورة المرسومة محفورةً في أذهان أجيالٍ ستأتي، وانطباعٌ لن يتبدّل: أن (روما) ستظل تمارس ظلمها وطغيانها، و (تدمُر) ستظل تقاوم رافضةً الظلم والطغيان.. وفي الأذهان، تنتصر (تدمُر).. (تدمُر) الحرية.. (تدمُر) الصرخة الكامنة بقلب كل إنسان"

ارتعد (أورليانوس) العظيم، وذهبت نظرة الثعلب لتحل محلها نظرة فأرٍ مذعور..

الخناجر تصيح باسم الملكة الخالدة..

(زنوبيا). (زنوبيا)..

تلفّت حوله..

التوتر التوتر.. الرعب الرعب.. الشعور بأن كل ما سعت (روما) لتشييده خلال أعوام على وشك الانهيار.. إثر تأثير عباراتٍ صادقة أطلقتها حنجرة قوية بمساعدة صوتٍ عذبٍ ثابت..

الويل لكل تلك المشاعر!

(أورليانوس) العظيم يصرخ في جنوده..

-" كبّلوا (زنوبيا).. كبّلوا (زنوبيا).. خذوها إلى (روما)"

تتحرك الديوك لتمسك بالملكة المعشوقة..

لتفسد خشونة (روما) نعومة (تِدمُر)، ليلوث دنس (روما) طهر (تِدمُر)، ليحيا قبح (روما) وليمت سحر (تِدمُر) ..

(روما). (تِدمُر)

اهتزّت الملكة في عنف من قسوة الرومان، وسقط التاج عن رأسها.. حاولت التقاطه؛ لكنها لم تفلح..

وسقط.. سقط تاج (تِدمُر) على الأرض ليدوّي في صوتٍ عنيفٍ هو صرخة ضياعه..

تاج (تِدمُر) هوى أرضاً يا شعب (تِدمُر)..

و (زنوبيا).. (زنوبيا) تبكي..

(زنوبيا) الجميلة، الرقيقة الفاتنة، الحاكمة العادلة، الرمز والأمل - تبكي..

بحر عينيها الأزرق قد فاض بمياهه؛ ليسيل دافئاً على وجنتيها، ويبلل وجهها الساحر..

بكت أفئدة كل من رأى هذا المشهد من أهالي (تِدمُر) دماءً.. شعروا وكأن ألف ألف خنجرٍ روماني قد انغرس في أجسادهم ممزّقاً لحمهم.. ممزّقاً

بقايا قومهم.. ممزِّقاً أملهم.. وحلمهم..

(زنوبيا) تبكي..

والبعض من شعب (تِدمُر) يتقدم هائجاً ليثأر لإراقة دمعها.. يبغي تحريرها..

(أورليانوس) وديوكه يعملون.. السهام تنطلق لتحصد الأجساد المتقدمة المندفعة من أهالي (تِدمُر).. ومن يفلت منها ينل شرف الموت بسيف (أورليانوس)..

عيون الحاضرين من أهل (تِدمُر) جميعاً قد سكنها الغضب.. سكنها البأس الشديد..

تشابكت أذرعهم وتقدموا كتلةً واحدة.. كياناً واحداً.. كيانٌ تُنشئ فيه سهام الديوك ثقوباً.. لكن لا يهم.. أرعد يا شعب (تِدمُر).. أرعد يا شعب (زنوبيا)..

وفي صوت واحد هزّ جدران المكان دوّت عباراتهم..

" قتّلوا أجساداً لن يحصدها السيف الحاصد . .

بدّدوا أياماً لن ينهبها الوقت الراصد . .

لكن لن نُهمل (زنوبيا) أو صرخة (زنوبيا) . .

(زنوبيا) (زنوبيا) (زنوبيا) . .

قتّلوا أجساداً لن يحصدها السيف الحاصد . .

بدّدوا أياماً لن ينهبها الوقت الراصد . .

لكن لن نُهـــمل (زنوبيا) أو صـــرخة (زنوبيا) . .

(زنـــوبيـــا) (زنـــوبيـــا) (زنـــوبيـــا) . . "

فليحلّ غضب الشعب الساطع على بغي المحتل..

رفعت لهم (زنوبيا) رأسها المطأطئ، وأبصرتهم.. ومن بين حواجز الدمع، اتسع ثغرها، وتألقت في عينيها ابتسامة..

ليست ابتسامة يأس، ولا هي بالابتسامة المريرة.. ليست ابتسامة ضعف، ليست ابتسامة خواء..

بل ارتسمت على شفتي الملكة العظيمة ابتسامة سعادة.. سعادة اجتاحت كيانها كله مع سماع صوت الرعد في حناجرهم، ورؤية النيران المطلة من أعينهم..

سعادة ملكة بشعبها الذي ينتفض لأجلها ولأجل الأرض المغتصبة..

شعبٌ سيموت – إن مات – بشرف..

(زنوبيا) تبتسم لكم يا شعبها العظيم.. أشرق وجهها..

رغم قسوة ضغط ديوك الرومان على ذراعها، إلا أنها تبتسم.. سعيدةً بكم..

–" لوّحوا بأيديكم ودّعوا (زنوبيا).. أوصوا الشعراء أن يكملوا قصائدهم.. أوصوا الثوار أن يظلوا ثوّاراً.. ربما تكون (تدمُر) قد انتهت من الأرض.. ربما كانت في طريقها الفعلي للفناء؛ لكنها صارت بالمدار، سكنت القلوب، أصبحت الصرخة، وغدت النار التي تحرق كل كيانٍ ظالم.. "

تلتفت للفأر المذعور، وبقايا الثعلب – (أورليانوس) العظيم – تنظر له بعينيها الجميلتين في شماتة..

–" انه مهمتك (أورليانوس).. خذني إلى (روما) إن شئت.. فقد علت

الصرخة وتعاظمت حتى كبرت على الموت.. ."
تصرخ فيه مكملةً..
-".. . لا عسكرك (أورليانوس)، ولا جند (روما)، ولا كل (روما) تستطيع أن تخمد تلك الصرخة.. "
الرعب الرعب..
يصرخ (أورليانوس) في جنوده..
" نفّذوا! "
يجذبونها لتذوق أهوالهم..
لعبت (زنوبيا) دورها ورحلت.. ضاعت (زنوبيا)..
ضاعت من بين يديّ شعبها دامعة العينين.. أسيرةً.. صارخة..
ضاعت عظيمةً، قويةً، ثابتةً كما كانت دوماً..
ضاعت (زنوبيا) الجميلة..
آآآه يا (زنوبيا).. آه يا حلم العمر..
يا أملَ (تدمُر) ورمزَ خيرها ونعميها..
يا من فتنتِ شعبك.. وفزتِ بكنز حبه.. وارتويتِ من بحور إخلاصه وعشقه وانتمائه..
آه يا (زنوبيا)..
سدٌّ الشعب المنيع يتقدم.. زاد اشتعال النيران في العيون، علا صوت الرعد أكثر من الخناجر..
سهامٌ رومانية تتطاير.. ورقابٌ، وجثثٌ من (تدمُر) تتساقط..
لكنهم يواصلون التقدم.. الموسيقى الملحمية التي تنطلق مدوية مع كل انتفاضة شعب، ها هي تدوي كأقصى ما يمكن..

أرعد يا شعب (تدمُر)..

" قتّلوا أجساداً لن يحصدها السيف الحاصد . .

بـــدّدوا أياماً لــن ينهبها الوقـــت الراصد . .

لكن لن نُهـــمل (زنوبيا) أو صـــرخة (زنوبيا) . .

(زنـــوبيـــا) (زنـــوبيـــا) (زنـــوبيـــا) . .

قتّلوا أجســـاداً لــن يحصدهـا السيف الحاصـد . .

بـــدّدوا أيامـــاً لن ينهبها الـوقـــت الـراصـد . .

لكن لن نُهـــمل (زنوبيا) أو صـــرخة (زنوبيا) . .

(زنـــوبيـــا) (زنـــوبيـــا) (زنـــوبيـــا) . . "

(زنوبيا) (زنوبيا) (زنوبيا)..

* * *

تعب من جلسته..

وضع الكتاب على مكتبه ونهض.. سيعود ليكمل ما قرأ..

لكن ظل الكتابُ مفتوحاً!

* * *

السبت – 10 سبتمبر 2005

عامٌ سعيد.. كالمعتاد

في مروري العابر استفلتَ انتباهي حوارٌ لمجموعة من العجائز قد زهدوا الحفل، وانتقوا ركناً يثرثرون فيه؛ كي يجعلوا من الدنيا كياناً أكثر تعقيداً..

-" حزم الخريف حقائبه ورحل سريعاً.. وحلّ الشتاء ضيفاً ثقيلاً؛ وقد انقضى أقل القليل منه"

-" احتفالاتٌ يُعد لها في هذه الفترة كالعادة، وتهانيءٌ تتساقط من الأفواه، واستعداداتٌ لا تدري لأي شيءٍ تُقام لكنها لابد وأن تقام"

-" وككل عام وعند رحيل أي عام وقدوم عام بعده، ترى آثار نحت البهجة على الوجوه.. بهجة زائفة، منحوتة برداءة، نحتها مثّال فاشل على صخرة هشة"

-" كل ذلك الصخب من أجل عام جديد يطرق باب حياتنا"

-" ممثلون يعدون الحمقى - جمهورهم - بإنتاج أغزر وأفلام أكثر (جودة)"

-" طلاب يتهيأون بتراخٍ لفصلٍ دراسيٍ جديد"

-" رجال السياسة يبتسمون في تفاؤلٍ أبله، يحاولون مسح الدماء التي تسيل من أركان شاشات التلفاز"

-" آباءٌ سعداء لأن أنجالهم سيدخلون المدرسة ويصيرون (رجالاً)"

-" أشكال وصنوف مختلفة من الخلائق تطمح في أشياء عجيبة"

-" كل تلك الضجة من أجل عام جديد.. من أجل رقم واحد سيزيد في التقويم وستتم إضافته للتاريخ، مما سيسعد طلاب المدارس الذين سيرون

تجديداً – أخيراً – عندما يكتبون تاريخ الحصة بعدما كانوا قد ملّوا التقويم القديم.... عام جديد.. رقم زائد."

وأنا.. شخصٌ عادي.. لستُ مميزاً في شيء حتى أدّعي الوقار ويفوتني نصيبي من المشاركة في هذا الحمق..

هي حفلة.. واحدة من ملايين الحفلات المقامة في تلك الليلة في كافة أرجاء العالم.. حفلة رتبتها وأقراني، نسهر فيها ونمرح ونستقبل فيها سوياً العام (السعيد) الجديد..

عند ذهابي خلعتُ عني رداء الغم، ومزّق مرحنا معطف المشكلات الثقيل الذي أثقل كاهلي..

ضحك.. لهو.. مزاح ثقيل بالأيدي.. انتظار مترقب لدقة الثانية عشر..

وسط الصخب وخلال الضجة، سقط مني بصري على البرواز الذي يحمل صورة قريني الفلسطيني في ذاك الركن..

برواز يقبع في ركنٍ مظلم يكاد يُرى بالكاد..

توجهت لهذا البرواز.. وقفت في مواجهته وصحت في مرح..

"Happy New Year "

أحسستُ أن صديقي ينظر إليّ عبر صورته هذه..

وبالطبع لم يجب..

وحمدتُ الله أنه لم يبصق في وجهي.

* * *

الجمعة – **31** ديسمبر **2004**

فلتدعي يا أم داوود!!

يسير الفتى منكساً رأسه، حاملاً همه، وقد بهت وجهه بألوان الحزن، وعلى الرغم من ذلك فلم يفلح حزنه في قتل خبث نظرته ولؤم عينيه.. يمضي في الطريق ملتاعاً، ساخطاً..

سار إلى أن وصل لأبيه وأمه.. أبوه الذي أبصره على هذا الحال فأقبل عليه هلعاً.. وسأله: " ما بك يا (داوود)؟!!"

سالت دموع الفتى من عينيه، وابتدأ سرد شكواه قائلاً: " لم يعد بإمكاني الاحتمال يا أبت.. فظيعٌ هذا الذي ألقاه!..

أقراني أولاد الجيران.. (مرسي)، و (حسين)، و (حمدان).. مخلوقات رهيبة يا أبت.. أصابوني بالإحباط.. زرعوا بداخلي محاصيل اليأس التي لم أعرفها يوماً.. غدوتُ أمام نفسي: (لا شيء).. تبخرت ثقتي بقدراتي وذهبت أدراج الرياح.. تصور يا أبت!!.. أنا الذي لم يُخلق بعد من هو في مثل خبثي وشرى.. أنا.. فشلتُ في تحقيق مرادي معهم.. تصور!!

كانوا أول من حرمني لذة النجاح.. صرتُ مغتماً على الدوام.. أصبحتُ أهيم على وجهي في الطرقات.. غدوتُ أحادث نفسي أحياناً كثيرة بسببهم.. أفقدوني عقلي..

إن وجود أشخاص كهؤلاء محالٌ حدوثه يا أبت.. صدقني.. سأحكى لك ولتحكم بنفسك..

فكرتُ طويلاً في طريقة تجعلني محبوباً عندهم. أكسب بها ودهم وأصير لديهم مقرباً.. ووجدت تلك الطريقة بعد عناء، ثم عزمت على تنفيذها..

وذات صباح انفردتُ بـ (مرسي).. أقبلتُ عليه هاشاً باشاً لاصقاً على وجهي ابتسامة متوددة - تلك التي علمتنيها يا أبت؛ تعرفها بالتأكيد -.. فبادلني الابتسام.. تيقّظ عقلي واستعددتُ لأن أصب حديثي في أذنيه حتى أخدره وأكتسب وده..

وما إن فتحتُ فمي لأهم بالتحدث حتى وجدته يتحدث إلىّ في مرحٍ وبغير تكلف، وينبئني بأنه سعيد بمعرفة شخص ذكي محترم مثلي، وأنه يراقبني منذ فترة وقد لفتت شخصيتي انتباهه، ويود لو نتناسى تلك العداوة بيننا وبين أسرته، ويأمل أن تعود علاقتي معه طبيعية، وأنه سيسعد بهذا التطبيع جداً..

دمعت عيناي غيظاً حينها يا أبت.. لقد أضاع الأحمق مجهودي وطول تفكيري في غمضة عين.. لم يشعرني بنجاحي الذي أتوق له.

وذات مرة قضيتُ إحدى لياليّ ساهراً أخطط وأدبر وقيعة بين (مرسي) و (حسين).. أرسم الخطط، وأنهك عقلي مفكراً، وأعصر مخي كي آتي بنتيجة مرضية.. وأخيراً وصلتُ، واعتزمتُ التنفيذ..

وأتيتُ (صديقي) (حسين).. - فلقد نلتُ صداقة ثلاثتهم بالطبع - متظاهراً بالحزن والأسى والتذمر لأجله.. وبالطبع أعددت العدة وجهزت الحجج والدلائل اللازمة لنجاح الوقيعة..

وقبل أن أفتح فمي بادرني هو بالحديث الغاضب - وكان يبدو أنه يشكو لي -.. أخذ يرغى ويزبد، وملأ وجهي بالرذاذ الذي تطاير من فمه، وبين الحين والحين ينهال بالسباب على (مرسي)، يذكر مساوئه لي، ويطلعني على أسراره، ويستعرض - (حسين) - أفضاله على ذلك الذي لا أم له - (مرسي) -..

حينها وددتُ لو أفرغ مدفعي الصغير - ذلك الذي أحضرتُه لي يوم عيد

ميلادي – في رأسه.. يا له من خنزير!.. ها هو فشلي يعانقني للمرة الثانية..

اللعنة!.. إن هذا لموجع يا أبت! ، موجع للغاية.

وتبقّى لي الأمل الأخير في (حمدان).. ذلك الذي يهوى تربية الكتاكيت.. كتاكيته التي تناديني كي آخذها وأضمها لحجرتي.. لا أخفي طمعي وجشعي ورغبتي المُلحّة في الاستيلاء عليها.. وكعادتي، أرّقني التفكير في كيفية إقناع (حمدان) بأن آخذها..

عليّ أن أقابل ثورته بأسباب تقنعه، عليّ أن أستعد لامتصاص غضبه.. تُرى هل سيوافق بسهولة ويسر؟!!..

وعلى هذا الحال قضيتُ ليلتي..

وفي الصباح أتيتُ (حمدانَ) باسم الثغر.. أخبرتُه برغبتي وتحفزت خلايا مخي للمعركة الكلامية.. فإذا به يخبرني أنها هدية منه إليّ، سيسعده أن أقبلها.. يا للشيطان!.. عندها لم أستطع التحمل وكظم غيظي يا أبت.. صفعتُه على وجهه وكدتُ أبصق عليه من فرط السخط..

أخذَته المفاجأة لبرهة وما لبث أن لانت ملامحه، وأخبرني كم أنا مهزار خفيف الظل، وأخطرني بأنه قد قبل مزاحي، وأن صفعتي لم تكن ثقيلة عليه قط، غير أنه كان يفضلها على قفاه مما سيوطد العلاقة بيننا، ومما سيضفي ظرفاً أكثر..

عندها كدتُ أخرّ صريعاً بصدق.. أقسم على هذا.

أدركني يا أبت، أنا منهار، لم أعهد في نفسي تلك الخيبة من قبل.. أبتاه أغثني أرجوك."

نحت الأسى ملامحه على صخرة وجه الأب.. صوّب بصره شطر ولده في إشفاق وقال: " (داوود) صغيري.. فلتهدأ..

لكن.. . أتعلم؟.. يا لفاجعتك وعذابك حقاً!.. يا لك من تعس!.. لقد

كُتب عليك الذل بملاقاة أناس كهؤلاء.. ليس أشق على المرء من أن يكون عدوه غبياً ساذجاً أبلهاً أجوفاً أخرق؛ فهذا يحرمه لذة النصر عليه.. يا للشر الذي أحاق بك يا بني.. إنهم متساهلون معك بدرجة غير محتملة فعلاً..

هل بلغ الحمق هذه الدرجة؟!!.. تظل ترسم، وتخطط، وتدبر، وتجهز، وتفكر كي تنال مرادك، وبعد هذا الجهد تجد عدوك الأرعن الأحمق يقدم لك ما تريد بكل سهولة وعلى شفتيه ابتسامة بلهاء!!.. إن هذا لمؤلم!.. إن هذا ليدفع للانتحار.. لم يُذكر في تاريخ عائلتنا بأسره أن لاقت خصماً بمثل هذا البله!.. ألا من عدوٍ حاذق؟!!.. ألا من عدوٍ يستحق التخطيط والتدبير؟!!.. يا لسوء حظكَ يا (داوود).. يا لسوء حظكَ يا بني! "

سكت الأب قبل أن يطرق برأسه..

لم تستطع أم الصبي الصمت على هذا.. للسماء رفعت ذراعيها وصاحت تدعو الله:

" اللهم ردّ أعداء (داوود) إلى صوابهم، وقوِّهم، واجعلهم متحدين ثابتين..

اللهم اجعلهم رجلاً واحداً يقف في وجه (داوود)، وأصلح أحوالهم لكي يستعيدوا توازنهم ويصبحوا خصوماً أقوياء جديرين به.. حتى يهنأ (داوود) بنصره عليهم..

اللهم استجب دعاء أم (داوود)."

* * *

الخميس – 23 ديسمبر 2004

أبيعُ الملابس

الجو صحوٌ، والشمس تجود بأشعةٍ دافئة؛ محاربةً تأثير الشتاء الخفيف الذي لم يعلن عن نفسه تماماً بعد..

وأنا، أعملُ ككل يومٍ في حانوتي.. أبيع الملابس..

حانوت متواري في أحد الأركان.. ترى الكثير على شاكلته هنا في فلسطين..

بينما كنت أقوم بتنظيم أوضاع بعض الملابس؛ إذ دخل الحانوت شابٌّ يافع.. دخل في صمتٍ تام ولم يتحدث..

رأيته فقط وقد تقدم نحوي حتى وقف أمامي تماماً، وخلع سترته..

تيقّظ عقلي وتحفزت..

لا أعرفه.. لأول مرةٍ أراه في حياتي..

نظرت في عينيه طويلاً، ونظر هو كذلك.. تناولت سترته التي خلعها ووضعتها في أحد الأركان، وتواريت لثوانٍ داخل حجرةٍ في حانوتي؛ عدت بعدها سريعاً له..

ناولته سترةً من عندي؛ ليرتديها..

تم هذا كله في صمت، ودون أن نتبادل حرفاً..

تبادلنا نظرة مرة أخرى..

لا أعرفه.. لأول مرةٍ أراه في حياتي..

اقتربتُ منه، وضممته لصدري.. ثم أبعدته عني قليلاً لأربّت على كتفه؛ فبادلني هو التربيت على كتفي..

ابتسامة.. ثم مضي خارج الحانوت..

خرجتُ واقفاً على الباب متابعاً إياه ببصري.. إلى أن رأيتُ الزحام يبتلعه..

دقائقٌ جرت.. ثم دوّى صوت انفجارٍ سمعته بوضوح..

تسمّرتُ مكاني قليلاً متابعاً البلبلة السائدة؛ ثم اتجهتُ – معتاداً ذلك المشهد – للداخل كي أنتظر الزبون القادم..

حكماء فعلاً من نصحوني بتجارة الملابس.. رزقها وفير..

لذلك فأنا أمارس عملي على أكمل وجه.. أبيع الملابس..

فقط أبيع الملابس.

* * *

الأحد – 11 سبتمبر 2005

– شكراً للمشهد السينمائي الذي أوحى لي بهذا العمل.

نادماً خرج القط!

تُرى ماذا ستفعل لو كنت مكانه؟!!

إنه حائرٌ فعلاً..

بإمكانه ألا يلقي بالاً للأمر برمته ويستكمل طريقه..

وبإمكانه أيضاً أن يفعل ما اعتزمه..

يقولون إن الفضول قتل القط.. فهل من الممكن أن يقتله الفضول؟!

لكنه ليس قطاً!

الموقف غريب.. ومحير..

كان منذ لحظات كما هو الآن في هذا الطريق الصحراوي الموحش - يقود سيارته.. المنطقة خالية تماماً من وجود أية علامة تشير إلى وجود حياة.. الطريق يتلوّى أمامه كدودة انفجرت أمعاؤها الغليظة.. وإذا به يلمح على البعد أمامه في الطريق صفّين متوازيين من الأحجار يحرسان جانبي الطريق.. تظاهر أنه لا يفكر فيمن قام برصّهما على هذا الوضع؟! أو لأي سبب؟!.. وتقدم بالسيارة في الطريق حتى اقترب من بداية الصفّين..

حتى الآن لا توجد مشكلة.. ولكن بعد انطلاقه بالسيارة لمسافة معينة بين الصفّين ظهرت المشكلة.. فقد وجد أن الصفّين يحيدان عن الطريق، ويخترقان رمال الصحراء - محافظين على توازيهما - إلى الداخل حيث نقطةٍ لا يراها..

هنا أحاط الغموض موقفه، وانتابته الحيرة.. وعجز عن التفكير في القرار الصائب..

يتبدّى له حلاّن، يلوّح كلٌّ منهما له في إغراء..

إما أن يستكمل طريقه بصورة عادية مبعثراً أمامه صف الأحجار الذي حاد، ويذهب إلى حيث أي مصيبة تبتلعه..

أو أن يسير مع الصفين وليرَ إلى أي شيءٍ يقودان؟!

ها؟ ترى ماذا ستفعل لو كنت مكانه؟!!

فلنفرض جدلاً أنه سار مع الصفين كي يرى إلى أي شيءٍ يقودان!.. أليس من الممكن أن يقوده هذا لخطرٍ محقق؟!!

إنه في طريق صحراوي وحده.. في منطقة موحشة.. جاثوم السكون يطبق على أذنيه حتى يكاد يسمع صراخ الصمت.. حتى لَيُخيّل إليه أنه وحده على الأرض، وقد انسحق كل البشر والدواب والحشرات وكل الموجودات..

أممكنٌ هذا؟!.. محتمل!

في منطقة مرعبة كهذه يتوجب عليه أن يمر عليها ويجتازها بسرعة البرق إلى أن يصل إلى حيث يريد حامداً ربه على نجاته.. أيفكر – مجرد تفكير – في المجازفة والسعي وراء مجهول قد يخبئ له الهلاك؟!!

حسناً.. لنقل أنه رفض هذا الحل وفضّل أن يستكمل طريقه بصورة عادية مبعثراً أمامه صف الأحجار الذي حاد، ويذهب إلى حيث أي مصيبة تبتلعه.. من يضمن له أنه بعد عودته لن يصدم رأسه عشرات المرات بكلٍ غلٍ في جدار حجرته الأصفر ندماً.. وأن اللائمين لن يصافحوا قفاه عتاباً على تضييع فرصة معرفة حل لغز نادر كهذا!

إن تجاسر واتّبع الأحجار قد يقتله خطرٌ مجهول، وإن تجاسر وتجاهلها فمن المؤكد أن الندم سينتقم منه أشد انتقام.

انحرفت السيارة نحو الرمال بفعل يديه؛ ليدرك على الفور أنه قد استقرّ

على قرار واعتزم خوض التجربة.

تُرى ماذا ينتظره؟!.. وحشٌ عملاق؟ سفاحٌ مجرم؟ عصابةٌ خطيرة؟ مجنون؟

قد لا يجد شيئاً على الإطلاق..

حسناً حسناً.. فليهدأ..

إن هي إلا لحظات وينتهي قلقه وتوتره.. أو ينتهي هو نفسه..

إلهي كن معه!

يا ربي!.. ماذا سيجد؟! ماذا سيجد؟! ماذا سيجد؟! ماذا سيجد؟!

إنه ليس خائفاً.. بالطبع لا يرتعش..

أي أحمقٍ هو!.. ما الذي دفعه لهذا؟!.. من الأفضل أن يعود..

كلا!.. ليس خائفاً، ليس خائفاً.. وما اصطكاك أسنانه إلا منظر خادع لا أكثر..

ليس خائفاً ولا مرعوباً، ليس خائفاً ولا مرعوباً، ليس خائفاً ولا مرعوباً..

!!!!!!!!

هل يخدعه بصره أم أن الأحجار قد انتهت بالفعل؟!!.. أجل، انتهت فعلاً!.. إذن أين الخطر؟! أين من سيهشمون رأسه؟!

عاد للطريق يجرّ، وسيارته، أذيال الخيبة.. أبعد هذا كله لا يجد إلا فراغاً؟!

اللعنة على ذلك العابث الذي أقام هذا كله..

بل اللعنة على كل تفاهات البشر، وفضول القطط الذي احتواه!

هذا إن كان من فعل هذا بشراً أصلاً.. بل حتى إن كان من الجان!

فجأة توقفت سيارته بفعل أمرٍ ما.. وسمع صوتاً قريباً منه للغاية – وبه نبرة غير مريحة – يقول:

–" مرحباً بك في الطريق الذي رسمناه لك"!

* * *

الخميس – 10 مارس 2005

طلاق

أتته واجمةً.. لا تقوى على أن تنطق حرفاً من فرط الحزن..

جلست أمامه ناظرةً إليه.. انفتح فاها وانغلق عدة مرات في محاولات بائسة لنطق العبارة التي جهّزتها..

وبعد بضع محاولات؛ نجحت..

-" صدقني.. مبقتش عارفة أستمر في ده.. كان نفسي كزوجة أقف جنبك للنهاية.. بس مبقتش قادرة.. آآ.. آسفة"

بكت..

ظل ينظر لها كثيراً.. ملامح وجهه تشير بوضوحٍ إلى الحطام بداخله.. كل الأمور التفّت حول رقبته، واشتدت عقدتها.. شُلّ تفكيره ولم يعد قادراً على خلق الموقف الدرامي المناسب..

إنها بالتأكيد لا تقصد ما تقول، وإنما هي لحظة الانهيار التي توقعها.. فكر أن يثنيها عن هجره بأن يجعلها تُشفِق عليه فيوجعها ويُشعرها بالذنب.. لذا ظل ثابتاً على موقفه كجريح وسأل:

-" نطلّق؟"

بكى..

ظلّت تنظر له كثيراً.. ملامح وجهها تشير بوضوحٍ إلى الحطام بداخلها.. شُلّ تفكيرها ولم تعد قادرةً على خلق الموقف الدرامي المناسب..

إنه بالتأكيد لا يقصد ما يقول، وإنما هي لحظة الانهيار التي توقعتها.. فكرت أن تثنيه عن فكرة الطلاق بأن تُظهِر نفسها عاجزةً مشتتةً مشلولة

التفكير؛ فوافقته..

-" آه.. نطلّق"

وثقت أنه سيدرك اللعبة.. لكنه لم يفعل شيئاً.. شياطين كبرياء كل منهما سخّرهما كي يسيرا في المسار..

وتم الطلاق.

* * *

الاثنين – 11 سبتمبر 2006

اقرأ – من فضلك – هذيانه

" لا أريد أن أموت قبل أن أكمل رسالتي، أو على الأقل قبل أن أعرف ما هي! "

محمد عفيفي

* * *

القصاصة الأولى من صفحات شخصٍ يهذي..

بتاريخ: الاثنين 8 أغسطس، في أحد أعوام القرن الحادي والعشرين..

" فليخرج كلٌّ منا ما في نفسه"

أرغب في الثرثرة حقاً.. تُرى فيمَ سأتحدث؟ أي هراءٍ سأسكبه على تلك الصفحات الرمادية؟!

اعتدتُ دوماً عندما أنوي التحدث بدون ترتيب مسبق؛ أن أخرج ما في نفسي بصورة أنقى..

وبدون أي تحوير أو زخرفة فلسفية سمجة قد تفسد كل ما اختمر بروحي..

لأتحدث عن بيتي الذي طغت عليه اجتماعياته ليغدو أشبه بمجتمع..

أو الذي امتلأ بمشاكله ليشبه ساحةَ حرب..

أو الذي فاض بروعته ليصبح وطناً..

أو فلأتحدث عن وضعي وحالتي النفسية الآن..

يا لنظراتكم الصارمة!..

أف!.. حسناً لن أفعل..

هل تعلمون أني لم أستشعر روعة ومدى غلاء تلك المكاشفات النفسية إلا منذ أيامٍ قليلة قد خلت؟

شيءٌ كهذا نادر وجوده فعلاً، ومن الصعب تكراره كما هو.. من الممكن عمل نسخ منه. من المتاح تقليده..

لكنه لن يصبح كما أصبح هنا.. بأعماقي..

ليس هذا وقت سفسطة فارغة.. كلكم يدرك ذلك! فما الجديد الذي أتيت به؟!

يا لي من غبي!

غبي؟!!!.. أغبيٌّ أنا حقاً؟!! تُرى كم شخص يؤمن بهذا الرأي؟!!

من يرى منكم أني كذلك فليرفع سبابته.. حسناً حسناً.. لتُبتر سبابات الجميع، أخفضوها من فضلكم فإن لي بعض الشعور.. وبعض الكرامة كذلك.

تنسرب أخباركم لي عن بعد.. بعدما كنت أنا من أبلغ الجميع بها.. انقلب الوضع..

لا أدري ما يحدث لي حقاً..

مسوخ مشاكل الاتصال بالبعض عندي تتضخم وتتضخم مبرزةً لي كل بشاعتها، ومسوخ مشاكل الحياة كذلك!

وأنا.. ... .

أنا أنا..

باسلٌ لا زلت.. باسل لكن ببعض الاختلاف..

باسل..

باسل..

باسل شريف مختار..

يا لذلك الشعور!.. أن تظل تكتب اسمك..

تجربة ظريفة أن تكتبه مرات ومرات متتالية.. عشرات المرات.. مئات المرات.. آلاف المرات.. ملايين المرات..

باسل باسل باسل باسل باسل باسل باسل باسل باسل باسل

أبذلك تسترجع شخصك المفقود؟.. علّ هذا يجدي.. ألن يجدي؟!!

لا أدري!.. بعضهم يعلم.. ربما سأنضم لـ (بعضهم) بعدما أرى نتيجة ذلك..

من أنا؟ ماذا كنت؟ ماذا سأغدو؟ إلام صرت؟!!

أسئلة غبية كتلك لابد وأن تنل حظها من التهام اهتمامنا المعتاد.. تلك هي الآلية المفروضة..

هل من معترض؟!!

لا أدري سبباً لخواطري الغريبة التي أكتبها هذه الأيام!.. ربما بزيارة لإحدى المصحات النفسية سأكف عن هذا.

أتجدد.. وأكتب.. وأثرثر..

لكن هل يذكرني أحدكم؟!!.. هل يذكر أحدكم زميلاً كان؟! وأخاً كان؟! وحبيباً كان؟! ومشاكساً كان؟!..

ومتفوقاً كان؟!!!!

الإجابة عندكم أنتم.. فقط.. وأنتظرها منكم..

هل من مجيب؟!!

أين من كانوا حولي؟.. كنت في غدوّي ورواحي المستمرّين.. أحفظ

قائمةً من الأسماء..

كنت أعدّها بمثابة هالة لي.. محيطة بي.. ملتفة حولي..

هالة حبيبة.. بأفرادها التي تقطر منهم روعة، وحب طالما سعدت به..

أين هي؟! وأين هم؟!.. هل يدركون أساساً أنهم هالة لي؟! وأي جزء من هالة هم؟!

تُرى كم من شخصٍ سيقرأ هذا الكلام فيدرك ما أعني على الفور؟!!

تُرى كم شخصٍ سيقرأ هذا الهراء ويقول: آااااه.. أنا المقصود.. أدرك أن باسل يقصدني.. يقصدني أنا وفلان وفلان وفلانة وعلان.. أنا المقصود.. أدرك ذلك جيداً.. أومن به جداً.. أعيه بشدة.

من سيقول؟!!!

لم أصرّح أبداً بأسماء مجموعة لأحد أن هؤلاء يمثلون هالتي، وأي جزء من هالاتهم، وأن بيننا يجمع ذلك الرباط الوثيق.. رباطٌ تمناه الكثيرون ولم يحظوا به..

وبالرغم من ذلك فأنا موقن بأنهم يعرفون بعضهم جيداً.. وأنهم تورطوا رغماً عنهم في الدخول لهالتي..

من؟!! من؟!! من؟!!!

باسل شريف..

باسل شريف مختار.. ماذا في هذا؟!

لا شيء!

بعيداً عن أي ظنون من الممكن أن تتطرق لأي ذهنٍ مريض!

أعلم أن خواطر المرء يتم تفسيرها آلاف التفسيرات.. كلٌ يفسر على هواه..

أحياناً أشعر أني في سيرك..

أؤكد ثانيةً.. بمنتهى حسن النية أود أن أسأل..

هل أنا شخصٌ جيد؟! أتشعرون بذلك فعلاً؟!!!

يا للعجب! أقسم أني بمجرد كتابتي للسؤال.. تسلل شيءٌ ما ليدغدغ جفنيّ.. ويمهد لقدوم دموعٍ تستأذن بدق بابي عينيّ!

لكن لا يهم!.. أجيبوا.. هل أصلح؟!!

لِمَ؟!!!!.. لأي شيء..

هل أصلح أن أكون أخاً؟!.. فليجب إخوتي، أو من كانوا..

هل أصلح أن أكون زميلاً؟!.. فليجب الزملاء، أو من كانوا..

هل أصلح أن أكون طالباً؟!.. فليجب من علّموني، أو من كانوا.. – ما الذي سيأتي بهم ها هنا؟! لا أفهم! –..

(حاولوا أن تتغاضوا عما أقول فأنا أهذي!)

هل أصلح أن أكون حبيباً؟!.. فلتجب حبيبتي، والتي ستظل كذلك لآخر العمر..

أأصلح؟!!!.. بعضٌ من ثقة.. ثقة..

ث ق ة

اممممم!.. جربتُ أن أكون أشياء كثيرة..

مطرب.. ونجحت، لكن الآن كلا بالطبع..

قارئ قرآن.. ونجحت.. وحتى الآن..

رسام.. نجحت.. لكن للآن؟! لا أدري لأني لم أمارس منذ فترة..

كاتب؟!.. لا أدري..

طالب.. فشلت فشلاً ذريعاً..

زميل.. لا أدري..

ممثل.. لا أدري..

حبيب.. لا أدري..

أخ.. لا أدري..

ابن.. لا أدري..

صديق.. لا أدري..

منافق.. فشلت..

متصنع.. أحياناً..

صادق.. لا أدري..

كاذب.. لا أدري..

كما ترون جميعاً.. ما أنا إلا مجموعة من الـ (فشلت) والـ (لا أدري)..

إلهي!..

هل سأنشر ذلك الكلام حقاً؟!!

لا أدر.... .... احم.. أجل..

فلأمتلك بعضاً من شجاعة ولأكن قادراً على الثبات على موقفي.. وعدم محو كلامٍ كتبته..

سأنشره.. ولأظهر (أهبلاً) أمام الجميع فلا يهم..

ما الذي يدفع إنساناً لأن يتحدث هكذا بمثل لساني؟! أو بمثل قلمي بمعنى أدق؟!!

عموماً سأتوقف تلبيةً لرغبة نظراتكم الصارمة من جديد.. أخبرتكم أني لن أتحدث في أمرٍ يخصني..

واستخففتُ بكم واستدرجتكم حتى أغرقتكم معي حتى النخاع!

يا لي من مخادع!

ولكن ماذا أفعل؟!! لا أحد يسأل!

فلأترك هذا..

فقط ادعوا لي الله أن يصلح أحوالي جميعاً.. وأن يجعلني زميلاً مثالياً، وأخاً محبوباً، وحبيباً مخلصاً..

وان يعيد إليّ هالتي..

وأن يجمعني وحبيبتي..

ولتهتموا جميعاً بآخر طلب.. فهذا أهم ما لديّ..

ادعوا لي رجاءً بكل ما أسلفت وسأكون شاكراً..

آه.. ولا تنسوا أن تدعوا كذلك أن أكف عن كتابة خواطر بلهاء كتلك..

باسل..

كلا كلا.. ليكن.. ...

باسل..

شريف..

مختار..

* * *

القصاصة الثانية من صفحات شخصٍ يحب أن يهذي..

بتاريخ: الاثنين 9 أغسطس، في أحد أعوام القرن الحادي والعشرين..

" أن تكون أنت"

أن تزيح عنك كل تلك القشور..

أن تنفض عنك غبار التصنع والتمدّن..

أن تكون أنت..

رغبة جامحة في التعري تعتريني..

أن أتعرّى من كل قشوري الدخيلة عليّ..

حتى تلك الكلمات التي أخطها..

سأكتبها على طبيعتها.. بدون خط سميك، ولا لون أحمر كما اعتدت..

لا زخرفة..

تعرّي.. إزاحة.. إزالة.. تنفيض..

يا لمتعة ذلك!

اكشف نفسك وقل من أنت؟!

من الطفل فيك؟!.. ومن الناضج؟!

بدون إضافات.. ولا حليات مدنية زائفة..

أزلها بنفسك قبل أن تفعلها مرغماً..

من أنت؟!

كم عمرك؟!

كيف حالك؟!

هل تعرفني؟!

كم عمري؟!
وكيف حالي؟!
أحب أن أهذي كثيراً على وريقاتي..
وستحتملونني..
لأنه لا يوجد قانون يحظر الهذيان على الورق..
تخيلوني كذلك أخرج لكم لساني لأن بي رغبة في أن أرتدي الوجه السخيف الذي يخرج لسانه..
لكن لن أفعل..
اتفقنا على التعري..
لا قشور لا قشور لا قشور لا قشور لا قشور..
لا إضافات..
فليعد كل شيء لطبيعته..
فليهذي الجميع مثلي.. صدقوني إنها لمتعة..
لقد أزلتُ قشوري عن صدق؛ فكان هذياني هذا هو النتيجة..
أزيلوها.. وإن كنتم شجعاناً فأطلقوا لأنفسكم العنان كي تهذوا..
جبناء..!
إنه التمسك الغريزي بتلك السخافات..
عموماً لا لوم عليكم.. أحياناً أشعر أني أنا الغريب بأفاعيله!
بالمناسبة.. حدث بالأمس شيءٌ رائع..
حدث مرعب.. تقريباً في الحادية عشر مساءً أمس..
شيءٌ هزّني.. سرّني.. أحياني..
ولن أخبركم..

اسألوا قشوركم والإضافات وغبار التمدّن إن أردتم أن تعرفوا..
فكل هذا هو الأبقى لكم من سخافاتي.
ب.. ا.. س.. ل..

* * *

القصاصة الثالثة من صفحات شخصٍ لا زال يهذي..

بتاريخ: الاثنين 10 أغسطس، في أحد أعوام القرن الحادي والعشرين..

" أُذُن"

بعيداً..
أسترق السمع لما يحدث.. أصيخه..
أحاول عبثاً إثبات حضوري.. ولا أدري لذلك نتيجة!
أو حتى فائدة!..
ماذا يحدث؟ وماذا حدث؟
جاثوم الأسئلة الأبدية عديمة الجواب.. بات هذا معتاداً..
ولكن ماذا عن الجميع؟!
أين أنا منهم؟!
هل تم إسقاط اسمي من قوائم الأهمية في أذهان الشخوص؟!
لِمَ التشوّش؟!
فرِحٌ بم حدث فعلاً لكن.... كم أنا حزينٌ لما يحدث!
ماذا أقول؟!!
هراء طبعاً..

حسناً.. لألتزم الصمت.

* * *

القصاصة الرابعة من صفحات شخصٍ يهذي دوماً..

بتاريخ: الاثنين 11 أغسطس، في أحد أعوام القرن الحادي والعشرين..

" كنت"

إن اليوم لرائع!

جميلٌ فعلاً أن تصادف أياماً رائعة في حياتك!

جميلٌ حقاً..

أحداث رائعة.. شخوص رائعون.. ورائعات!

نفوس صافية.. وعقول تفهمك..

لا أدري ماذا أقول؟! أو ماذا يجب أن يُقال؟!!

لكني سعيد.. وإن اليوم جميل..

تنسرب دفقات من الرومانسية كالعادة لتضفي اللمسات المرغوبة..

وغير المألوفة مطلقاً..

طيورٌ ملوّنةٌ صغيرة تحلّق فوق بحيرة يومي..

موسيقى يتم عزفها من قِبل روحٍ هي بالملائكة أشبه..

أو الملائكة بها أشبه!.. هذا هو الأرجح..

السبب في أن اليوم رائع هو أنني كنت.. ...

لن أقول.

* * *

القصاصة الخامسة من صفحات شخصٍ مستمر في الهذيان..

بتاريخ: الاثنين 12 أغسطس، في أحد أعوام القرن الحادي والعشرين..

" برواز"

أن تحيا ضخماً.. مُهَوّلاً.. كبيراً.. عظيماً..

تشعر أن لك مركزك..

– هذا لم ولن يحدث بالطبع لكني أحاول أن أجعلك تندمج في الدور –

يعمل لك الآخرون ألف حساب..

أن تكون في كفةٍ وحدك.. وهم جميعاً في كفة..

هناك مقولة للكاتب الساحر (محمد عفيفي) تفيد بأنه:

" في علاقتي بالآخرين أحب على الدوام أن يظلوا آخرين"

هذا مفيد أحياناً..

لكن أيصلح كأسلوب حياة؟!

لا خبرة لديّ حقيقةً كي أجيب على سؤالٍ كهذا..

أشعر بفارق كبير في تعاملي مع من حولي هذه الأيام، وتعاملي من شهرين قد مضياً مثلاً..

لِمَ يا ترى؟!

أنا أدري لِمَ!

أنا هو أنا.. لم أتغير.. لغتي كما هي، لم تتغير ولم تتطور فأحاول – فرحاً بذلك – أن أستعرض قدراتي..

الفارق أني عرفت كيف أجذب انتباه الناس..

كنت أتحدث فيما مضى ببساطة.. الكثير من كلام الحمق الذي كنت أخطه أحياناً كثيرة..

كان يدور بخلدي فألقي به كما هو..

والنتيجة.. برواز سخيف أحاط بشخصي في أعين الجميع..

وفي عيني أنا شخصياً عندما راجعتُ أحاديثي فيما بعد..

لا أدري فعلاً سراً لذلك.. هل تكون التلقائية والعفوية سخيفةً دوماً؟!.. هذا هو المرجح، وما تكشّف لي..

لذا فقد استعملت أسلوبي الثاني..

ألا وهو زخرفة حروفي وعباراتي قبل أن تخرج للناس.. من الممكن أن نقول أني قد تركت عفويتي وتلقائيتي كما هي، ولا زالت معي محتفظاً بها كأساس لشخصيتي.. لكن ذلك يسري على أقرب المقربين فقط.. أو في الحياة والتعامل الطبيعي الواقعي..

أما عندما يكون في مكانٍ مُعلن – أياً كان –.. فلن أكررها..

تعلمتُ ذلك منكم..

بالقصور الذاتي.. رغماً عني – صدقاً – وليس عن قصد..

ويبدو أنه أسلوبٌ ناجح..

أصبحت الزخرفة والـ (بروزة) إن صح التعبير أسلوب حياة.. وطريقة عرض..

لا ألوم أحداً بأمانة.. تلك طبيعة بشرية.. فطرة..

دوماً ما يسرق تنسيق الكلمات الأعين ويبهرها.. ودوماً ما تخطف البراويز الأبصار، حتى أنك قد تنصرف كلياً عن الأصل، أو ما يحويه البرواز.. ويسرق البرواز نفسه تركيزك..

بالمناسبة أشعر أني – أحياناً – شخصٌ آخر..

شخصٌ متعلق بالهذيان.. كلما أخرجت ما في نفسي، أجدني أهذي..

وأتحدث على طبيعتي بشـــــــــدة، ولا أضع في رأسي حساباً لشيء أو لأحد..

وكأني أكتب هذا الكلام لنفسي فقط..

قد أكون أنا أصلاً تغيرت.. ربما!

منذ فترة قريبة فعلاً رفعت شعار (لم أعد باقياً على أحد) المقيت..

ولا أدري لِمَ!.. ربما لأن الوضع العكسي قد أهكني وأرهقني كثيراً..

بالمناسبة أراهنكم أني لن أستمر على شعاري هذا طويلاً.. أنا واثق..

أعرف نفسي جيداً.. لا فائدة!

تغيرتُ فعلاً.. في نواحٍ معينة، وأخرى لا..

لا زلت مع أصدقائي كما أنا.. لكن في البيت كلا..

مُحالٌ أن أتغير معـــ(ـــها)؛ وإن كان فسيكون للأحسن.. لكن في دراستي كلا..

تغيرت مع بعض الأشخاص المقربين.. ومع البعض كلا..

لا أدري نهايةً لما أنا فيه..

لكن البعض لا زال يحبني.. بإمكاني أن أجتذب قطعةً من غروري، وأجزم أن الكثيرين لا زالوا يفعلون..

أرى أحدكم يبتسم سخريةً..

أفعلها مثله بالمناسبة..

هذا جيد على كل حال..

لا زالت الحياة جميلة.. لكن ليس كثيراً..
ولا زلتُ أنا.. ...
باسل

* * *

القصاصة السادسة من صفحات شخصٍ قد تمادى فى هذيانه..
بتاريخ: الاثنين 13 أغسطس، فى أحد أعوام القرن الحادي والعشرين..

" تلك الأغنية"

أطوي الوقت طياً..
أنظّف ما علِق بسترة حياتي من أشياء غير مرغوبة..
وأنصت.. لفيروز..

آخر إيام الصيفية.. و الصبية شوية شوية.. وصلت عَ ساحة (ميس الريم)، و انقطعت فيها العربية..

آخر إيام المشاوير.. فيه غيمة زرقا وبرد كتير.. وحدي منسية.. بساحة رمادية.. أنا و الليل و غنّية..

آخر إيام الصيفية.. و الصبية شوية شوية.. وصلت عَ ساحة (ميس الريم)، و انقطعت فيها العربية..

تأخرنا و شو طالع بالإيد؟! حبيبي سبقتنا المواعيد.. أنا لو فيّ زورك بعينيّ، و عمرها ما تمشي العربية..

آخر إيام الصيفية.. و الصبية شوية شوية.. وصلت عَ ساحة (ميس الريم)، و انقطعت فيها العربية..

أحب تلك الأغنية كثيراً.. كثيراً جداً..

لكن أأخبركم بشيء؟!!.. أنا لا أنصت لفيروز الآن، كنت فقط أستخف بكم..

لديّ في جهازي مشكلةٌ في الصوت.. ولا أتمكن من سماع أية أغنية..

أنا فقط أستحضرها..

أرأيتم؟!!.. حتى ما يعينني على الابتسام في صحرائي القاحلة تلك التي أحياها – محرومٌ منه..

تعِس!

بدأت أعراض الهذيان تظهر.. كم هذا ممتع.. فلأنجرف وراءها كالـــ.... ولأهذي..

لا مشكلة..

على الأغلب هي ليست مشكلة عندي في الصوت.. لكنها نسخة الـــ (Windwos) الناقصة..

وعدني صديقي – لينتقم منه الله – أن يأتيني بنسخة أرقى، وأفضل..

مع العلم بأنه هو من أتاني بتلك النسخة الناقصة.. أريد حلاً سريعاً..

الجهاز عندي ميت.. بلا صوت = بلا روح..

أريد حــــــــــــــــــــــــلاً..

أفكر أن أرسل مشكلتي لبرنامج (بين الناس).. ألا زال يُعرض؟!!

ما علينا.. لينتقم منك الله يا.... يا صديقي..

ومن المصرية للاتصالات.. ومن الـــ (السايبر) الذي ألغى خط الإنترنت.. وممن قذف الحَكَم بالحجر في مباراة (....) و (.... ..) ..

يا للسخافة!..

فلأتحدث في شيءٍ مفيد.. حسناً، لأحدثكم في شيء مفيد..
أحكيلكو حدوتة؟!!
لا لا.. لا أحد يستحق مني أية حواديت.. كلكم براميل جوفاء..
امممم.. أغنيلكو؟!!!
" ده عيونه دار.. جنة و نار.. ضحكة نهار.. أجمل رموش..
شبكوني فيه (على رأي نايا)"
من نايا؟!!.. يا للتطفل!
حسناً سأخبركم.. هي طفلة لم تتعدّ سنواتها الثلاث..
لكن إياكم أن يسألني أحدكم عن صلتي بها وإلا حطمت رأسه!
جيد.. يا لكم من أطفال مطيعين.. هذا أفضل..
تلك الأغنية أعشقها.. وتثير فيّ ما تثير من (بلاوي) دوماً عند سماعها..
لا يهم.. لو انطلقت في الحديث في هذا الأمر لما أوقفني أحدٌ كما تعلمون..
أأخبركم بشيء آخر؟!!.. لقد فقدت الرغبة في التحدث..
لأصمت..
وإلى لقاءٍ آخر مع هذيانٍ جديد.
ب.. ا.. س.. ل..

* * *

القصاصة السابعة من صفحات شخصٍ قد وجد فى الهذيان متعة..

بتاريخ: الاثنين 14 أغسطس، فى أحد أعوام القرن الحادي والعشرين..

"Quotations "

".. ثمة شيء سخيف في عواطف الناس الذين كف المرء عن حبهم.. "

أوسكار وايلد

".. لا ينبغي للأطفال أن يذهبوا للنوم.. لأنهم عندما يستيقظون في اليوم التالي؛ سيكونون قد كبروا يوماً آخر..! "

جوني ديب في أحد أفلامه

".. أيهما يمكن أن يحقق الحرية الداخلية النقية التي أنشدها؟!!.. الفن بكل هامشيته في مجتمعنا؟!!!.. أم العلم باحتلاله الهامش المُقابل؟!!!! "

سبيل نادر

".. إن المريض يخشى أن يستيقظ من غيبوبته؛ كي لا يصارحه المعالجون أنه مصاب بالسرطان!! "

د. عماد زكي

".. الكآبة ممتعة حينما تخطها على الورق.. "

يارا وفيق

".. الحب جحيمٌ يُطاق.. والحياة بدون حب نعيمٌ لا يُطاق.. "

كامل الشناوي

".. الحب يستأذن المرأة في أن يدخل قلبها.. أما الرجل فإنه يقتحم قلبه دون استئذان، وهذه هي مصيبتنا.. "

برنارد شو

* * *

القصاصة الثامنة من صفحات شخصٍ عشق هذيانه..

بتاريخ: الاثنين 15 أغسطس، فى أحد أعوام القرن الحادي والعشرين..

" شعورٌ لطيف"

حمامٌ منعش..

ودائماً الحمام منعش..

شعورٌ لطيف أن تخرج من حمامك نظيفاً.. تشعر أن كل ما بك من أوساخ قد تلاشى..

أوساخ روحية أو جسدية..

وأنك – خلاص – سوف تبدأ من هنا..

من بعد هذا الحمام سوف تبدأ نظيفاً..

لكن يظل السؤال..

كم حماماً تستغرق حتى يكون هذا هو (الحمام الذي ستبدأ من بعده)؟!

تأجيل تأجيل تأجيل..

فرشاة وأسنان..

البلوفر الأحمر القاتم على الجينز الأسود..

منتعش..

شعورٌ رائع أن تعرف أنك ملك لشخص آخر.. وتتزين له..

حتى ولو لم يرك..

بسمة..

جائزٌ أن تكون بلهاء.. بل أكيد..
لكن المهم أنها بسمة..
ماذا يهم؟!! هموم!
طظ..
طظ فعلاً وبشدة..
ما أريده سيكون..
وما قُدّر لي كائنٌ أيضاً..
المهم أنني أنا.. الآن أنا أنا..
والكل كل..
كل شيءٍ موجود..
العالم من حولي..
هل أخرف؟!!.. ما الجديد؟!!
هي.. أنا..
هم.. أنا..
هو.. أنا..
جميع الضمائر متكاتفة.. وأنا..
أنا.. أنا.. أنا..
البلوفر الأحمر القاتم على الجينز الأسود..
سيبدو هذا أنيقاً..
عيناي فى طريقهما للأسوأ..
ألمح هذا في المرآة يومياً..
ما المشكلة؟!!!.. هناك الآلاف مثلي..

لا يهم..
ما الضرر فى أن أبدو مثلهم.. ؟!.. ... .

....

(قصاصة مبتورة لأن (الشخص الذي يهذي) تذكر أنه لم يستحم بعد، فذهب ليفعل..)

* * *

القصاصة التاسعة من صفحات شخصٍ أدمن هذيانه..

بتاريخ: الاثنين 16 أغسطس، فى أحد أعوام القرن الحادي والعشرين..

" كن أديباً"

ياااااه.. منذ فترة طويلة لم أنشر عملاً أدبياً لي..

حتى ظننت ونسيت فعلاً أن تجمعاً أدبياً قد كان موجوداً من قبل..

لم أنشر عملاً واحداً لي منذ ثمانية أشهر بالتحديد.. يا لها من مدة!

خططت خلال تلك الفترة عشرة أعمال أدبية..

ولم يرَ قرائي أياً منها..

لكم أوحشني النشر.. لكم أوحشني التفاعل.. ترقب الردود.. النقد.. المهاجمون.. المؤيدون.. آراء السذّج الساذجة أدبياً..

كل شيء كل شيء..

انتظار الكثيرين والكثيرين لعملك الجديد.. مما يُشعرك بأن لك (جمهورٌ) يستصرخ (إصدارك) الجديد أن يُنشر..

وفور أن تنشره.. تجد الكل منقضاً عليه بكل الاهتمام.. مجاملةً لك،

لكن الاحتمال الأكبر أن هذا حباً فيك..

كان ذلك ممتعاً.. لكنه كان عهداً ومضى في الأوساط الأدبية..

وأعتقد أنه لن يرجع.. تدنّى مستوى التجمع الأدبي ها هنا للغاية..

برأسي أفكار كثيرة للنشاط الأدبي عموماً..

سأرتدي خوذتي.. أمسك رمحي.. أستل سيفي.. أتحصن بدرعي..

وأقيم حرباً..

حرباً أدبية..

آه لكم أعشق الأدب..

الأّدب..

ا ل أ دب

ا.. ل.. أ.. د.. ب..

أحب تكرار الكلمة..

كل يومٍ أكتشف أني غاية في الجهل فيه، ولا أدري فيه شيئاً عن أي شيء..

وبالمجتمع ها هنا فعلاً طاقات رهيبة أدبياً.. لكنها خامدة..

تحتاج لمن يثيرها..

تحتاج إلى جدية.. إلى دراسة.. إلى إعداد أديب..

تحتاج لمتمرس..

يا لخيبتنا!

أطفالٌ نحن لا زلنا نحبو - بصحبة بعضنا - في دهاليز الأدب الموعرة.. واللذيذة..

الأدب الأدب الأدب الأدب..

كم هذا رائع!

روعة أن تكسب تحفةً أدبيةً جديدة. تتفقد يدك الغلاف وتلامسه بكل حب، تتحسسه..

تمسك الكتاب وتتأمل طبعته. تشم - لو أخذتك الجلالة - رائحته. تتفقد كل (ركنٍ) فيه قبل أن تلتهمه..

روعة أن تلتهم إصداراً.. الرقعة الخرِبة برأسك تتآكل، لتضيف إلى رصيدك مكسباً جديداً..

روعة أن تقرأ لكاتب تعشقه، وتتابع إصداراته، وتنتظر بكل اللهفة والترقب احتضان الإصدارً الأخير..

روعة أن يضيف لك هذا الكاتب شيئاً. روعة أن تنتقده. أن يُشعرك هذا أنك قد بلغت شأناً ما..

روعة أن تبدأ تخط..

ذلك الكاتب الذي أعشقه يخط أيضاً.. وأنا أمارس نفس عمله.. يا إلهي!!!

أليس ذلك مثيراً؟!!

أحياناً أشعر على المستوى الشخصي أن لي إنجازاً.. لتمر لحظات بعد ذلك أجزم فيها أنني لا شيء..

وأنني بكل أعمالي، وتقاريري، وتجاربي، وقراءاتي، ودراساتي، ونصائحي الأدبية..

لا زلت غراً ساذجاً.. وهذا هو عين الواقع بالفعل..

عين الواقع بالفعل أننا كلنا كذلك..

وأولنا هو من يظن نفسه قد بلغ شأناً..

لي شهوةٌ أدبية عظيمة.. كثيراً ما تعذبني..

تعطش أدبي يصيبني من حين لآخر، حين لا أملك شيئاً أقرأه، وحين يكون معيني قد نضب من تلال الأدب..

وتكون حينها لحظة قاتلة..

أجربتها؟! أعشتها؟! أذقت ألمها؟!

أيعني لك الأمر شيئاً؟!!

يا ربي أريد أن أكون ذا شأنٍ أدبي..

أريد ذلك.. أريده.. أريده.. أريده..

وأغار بشدة من تفوق الآخرين الأدبي.. لكن لا أحقد..

لكنها غيرة قاتلة فعلاً..!

يا لي من برميل..

(قصاصة مبتورة لأن (الشخص الذي يهذي) تضايق من وصفه لنفسه بالبرميل، فأعرض عن الكتابة عنداً في نفسه..)

* * *

القصاصة العاشرة من صفحات شخصٍ على وشك الجنون..

بتاريخ: الجمعة 17 أغسطس، في أحد أعوام القرن الحادي والعشرين..

" ابتسم من فضلك! "

الآن فقط توصلتم لتلك الحقيقة؟!!!.. لقد تم حساب هذا الأمر كاتفاقٍ غير مكتوب بين الخلائق..

هذا شيءٌ معروف للغاية ومسلّمٌ به.. إن من يبتسم في وجهك فهو – حتماً – ذو حالةٍ من الحالات التالية: –

* إما أنه لا زال مُستجداً في لعبة الابتسام ويأخذ ذلك بالمأخذ الظاهري للبسمة.. ألا وهو أنها ابتسامة رضا والسلام.. ويتعامل معها على أساس ذلك.. وهذا الصنف في مشكلة حقيقية.. قلبي معه!

* أو أنه مكتئب ويقضي معانياً أسود أيام حياته – ويريد أن يظهر أمام الكل بالتماسك.

* أو أنه (مكتئب ويقضي معانياً أسود أيام حياته) ويُريد أن يوصّل لنا بطريقة يعي استخدامها جيداً؛ أنه يتظاهر بالتماسك.. ويكون مطمئناً في قرارة نفسه بأننا كشفنا أنه ليس متماسكاً ولا نيلة.. وأننا سنمصمص الشفاه – يا عيني! – عليه كثيراً.

* أو أنه قد فعل لأحدهم مصيبة.. ويضع له ذاك الوجه على سبيل الاستفزاز.

* أو أنه يقول: " أنا طيب اهو" .

* أو أنه يمر بحالة خواء.

* أو أنه – كما وصفت إحداهن في تعبيرها الموفّق – (يوحي بتسامح معين مستفز بعض الشيء.. أو محاولة استفزاز متسامحة بعض الشيء)

* والحالة الأخيرة.. أنه قد يرتدي وجهه المبتسم، وهو يعلم كـــــــــل تلك الاستخدامات السابقة.. لكن يضعه على سبيل العند لا أكثر.. في محاولة منه لأن يُعيد غرض الوجه الأصلي.. ألا وهو الابتسام والرضا.. وهذه الحالة بها شيءٌ من استفزاز طبعاً.

كانت هذه قصة الوجه المبتسم..

نلتقي بإذن الله في الحلقة القادمة مع سيرة الفنان المبدع (الوجه الضاحك)..

فإلى لقاء..

أف!.. كم هذا مرهق!

* * *

القصاصة الحادية عشرة من صفحات شخصٍ قد جُنّ تقريباً..
بتاريخ: السبت 1 يناير، في أحد أعوام القرن الحادي والعشرين..

" كل عام وأنتم بخير"

في أول أيام العام، ومع صخب الاحتفالات؛ قد تعنّ للمرء أفكارٌ وخواطر غريبة.. ولابد وأن تكون وردية بالطبع.. هذا حتمي..

حدث ذلك معي.. ووجدت يدي تتمرد على السيطرة التي فرضها المخ، وتمسك بالقلم لتتعاون معه على تحقيق انتقامهما مني بأن أسكب حروفاً كالتالية مع ميلاد عامٍ جديد..

وأن أحيا ذروة لحظات هذياني..

HaPpY NeW YeAr

هل حقاً سيكون هذا اليير هابي؟!!!

أولى القصاصات التي كتبتها هذا العام كانت..

" يتعثر باسل على حافة سطح شاهق منعدم الأسوار..

سطح بناية على ارتفاع 120 طابقاً..

تفلت قدماه..

ويهوي..

يعانق الأرض بعدما يتحول لـــ.. . 2000 قطعة..

تأتي حافلة سياحية فاخرة بكل وقار لتسحق أشلاءه المتناثرة على الأرض

وتساويها بالرصيف..

يهطل المطر ليمتزج بالدماء الحمراء التي اصطبغ بها الرصيف..

إلى أن يختفي اللون الأحمر..

تسطع الشمس.. تجفف الرصيف.. ليتلاشى كل أثر لباسل..

البقاء لله..

لا عزاء للسيدات..

ولا الرجال."

ها أنا..

مطرقٌ برأسي..

بعد الصخب، والجلبة، والضوضاء الذي صنعت..

ها أنا..

أستعد للرحيل

".. ... . "

تُرى.. كم من معنىً تحمل تلك النقط؟!!

" يا ربي عبدك محتاجٌ إليك..

فلا تحرمه أن يتلقّى منك رضوانك..

قد جاء يطرق باب العفو منتظراً..

منتظراً رضاك..

معترفاً بالذنب.. سبحانك..

فاجعل له الشمس مصباحاً يضيء له..
واملأ له بضياء الحق أكوانك.. "

" اممممممممممم! "
تدل على الحيرة.. أليس كذلك؟!!
إذن..
فألف ألف" اممممممممممم"

(بشر مزفتين)
لكم أحب سماع تلك الكلمة منها..
حقاً يا للبشر المزفتين..
عندما أحادثها أوقن وبشدة أن كل ما سوانا من بشر (مزفتين) بالفعل..
الكل..
بالتأكيد سيسود الزفتُ البشرَ إذا ما جذبتني رقتها، وأسرني جمالها، وفتنتني أنوثتها..
فلتسد يا زفت من فضلك..
فأنا أحبها.. وهي كذلك..
أنا أهواها.. وهي كذلك..
ولتصدموا جباهكم بالحائط..
أيها البشر المزفتين

إنه الشروق..

إنها الراحة..

والسكينة..

والكد المثمر..

و الـــ.... أيضاً..

إنه السعد..

والهناء..

إنها هي..

فلِمَ لا؟!!

هه.. لِمَ لا؟!!!

(هنا تنتهي صفحات (الشخص الذي يهذي) - التي تحوي إحدى عشر قصاصة - لأنه لا يرتاح للرقم الثاني عشر!)

* * *

يومٌ خاص

أكون أو لا أكون.. تلك هي المسألة..

* * *

ثمة* أيام تختلف عن سواها.. عندما تصحو من النوم شاعرًا بالانتعاش، وبأن الصداع المزمن قد زال، وبأنك – بشكلٍ ما – تتوق إلى أن ترى أصدقاءك في العمل، أنت الذي لم ترَ فيهم من قبل إلا ألعن مجموعة من الأوغاد ذوي الوجوه الدنيوية الشهوانية..

أهبط من الحافلة المزدحمة.. أجتاز الشارع الضيق إلى المصلحة الحكومية التي أعمل فيها.. اسمها؟.. هذا لا يعنيك في شيء.. أنا نفسي أجد عسرًا بالغًا في تذكره.. يبدو أن لها اسمًا مثل (مصلحة المؤهلات التعاونية) أو (مصلحة المحليات التأسيسية) .. وهي مكان لا نفع فيه إلا أنه يجب أن يوجد مكان ما يتعذب فيه المواطنون..

على باب المصلحة أرى ورقة كتبها خطاط رديء لا أتبين ما فيها، لكني أرى خط الحداد الأسود المائل.. كالعادة هذه خالة أحدهم قد ماتت في قرية ما والعزاء تلغرافيًا الخ.. الخ.. والدفن بعد صلاة الظهر طبعًا..

أدخل الغرفة حيث زملائي يجلسون إلى مكاتبهم..

(ناهد) جالسة.. ثمة شيء غريب في مظهرها.. أولاً: هي ترتدي الأسود.. ثانياً: هي تجفف دمعها.. ثالثاً: هي لا تلبس الحجاب الذي يغطي شعرها.. هذا غريب!.. لم تقل قط أنها ستنزع الحجاب.. ثم لماذا تبكي؟.. لو كانت من أهل المتوفى لما جاءت أصلاً..

الأستاذ (عزمي) يلتهم بعض الشطائر.. هذا غريب أيضًا لأنه لا يأكل

خارج بيته.. سألته عن السبب فقال وهو يكوم الورقة التي تحوي الشطائر:

ـ" لم يكن هناك وقت لأفطر عند (حودة) .. أرسلت عم (مهدي) ليبتاع لي الشطائر وآكلها هنا"

ومنذ متى يفطر عند (حودة) أصلاً؟..

و (إبراهيم) يدخن في نهم.. هل (إبراهيم) يدخن؟.. هذا جديد. إنه يوم خاص فعلاً.

قال لي (إبراهيم) وهو يلبس سترته التي علقها على المقعد:

ـ" قمتُ باستئجار ميكروباص لينقلنا.. إنه الآن على الباب.. هل أنت قادم معنا؟"

ـ" بالتأكيد.. لكن أين؟!!"

قالت (ناهد) وهي تغلق مكتبها:

ـ" كلنا ذاهبون للجنازة.. إنها بعد صلاة الظهر"

شعرتُ بالغباء. كلهم يعرف باستثنائي.. لذا سألتُ في خجل:

ـ" جنازة من؟!!"

ـ"هل كنت نائمًا في كهف؟.. إن (سمير فودة) قد توفي فجر اليوم"

قالتها وانفجرتْ في البكاء..

كل هذا مثير للأسى فعلاً.. المشكلة الوحيدة هنا هي أنني أنا (سمير فودة)!

* * *

إن ما يحدث لشيءٌ عجيب.. مثير.. مربك.. لا يخلو كذلك من طرافة..

أن تخرج من منزلك – إن تغاضينا عن تسميته بالـ (منزل) – في السابعة صباحاً مسرعاً متجاهلاً إفطارك، هارباً من طلبات أختك الصغرى..

(عجباً! كيف لم أنتبه إلى أنها لم تطلب منى شيئاً اليوم؟!) .. وأن تعدو وقدماك محملتان بالأوحال مقاتلاً في استماتة لكي تفسح لجسدك مجالاً وتحشره وسط أجساد ملتصقة متلاحمة في جوٍ خانق..

أن تفعل هذا كله لكي ترى زملاءك يعزونك في موتك، ويفصلون - ببراعة - في ذات الوقت بين (سمير) الواقف أمامهم و (سمير) الجثة الهامدة، لهو أمرٌ يصعب أن تمر به مرتين إن أردت رأيي..

ولكن هل مت حقاً؟!.. لا.. لا أعتقد.. على الأقل كنت سأترك لنفسي خبراً.. لستُ وغداً لهذه الدرجة حتى أموت بدون علمي..

أي هذيانٍ أقول؟!

أأوافقهم على حماقتهم وأذهب معهم؟!.. كلا بالطبع، لست مخبولاً حتى أفعل..

من المؤكد أن الأمر سيتمخض في النهاية عن دعابة قاسية لا أكثر.. لن أدع لهم فرصة الاستهزاء بي والسخرية منى..

رأيتهم جميعاً ينهون ما أمامهم من عمل في عجل ويستعدون للمغادرة بالفعل.. توجهت من فوري للنافذة وألقيت نظرة.. عجباً! هناك ميكروباص بالأسفل فعلاً.. (بدأ الأمر يأخذ طابعاً جدياً!) ..

التفت إلىّ الأستاذ (عزمي) ، وخرجت كلماته من بين شفتين لامعتين من جرّاء الزيت الناتج عن الشطائر التي اختفى لها كل أثر:

-" ها؟ هل ستأتي؟"

يا للمأزق!.. بدأتُ أشك!.. كدتُ أتحسس جسدي بيدي لأتأكد من كوني حياً فعلاً، لكنى لم أفعل بوازع من كبرياء معاند..

هل أذهب معهم؟!..

وماذا أفعل مع أمي التي ستلومني - بكل تأكيد - على ذهابي لجنازتي

بدونها هي وأختي؟!

رباه! عقلي!

حسناً.. نحن لم نزل بعد في العاشرة صباحاً.. هناك متسع من الوقت كي أعود للبيت وأرى ما يجري هناك - فلقد خرجتُ مبكراً والبيت في سكون تام، ولم يكن من أحد قد استيقظ فيه إلا شقيقتي (نجلاء) ، وكانت واجمة على غير عادتها؛ حتى أنها لم تشيعني ببسمتها كالمعتاد..

وأيضاً ستكون فرصة طيبة كي ألقى نظرة أخيرة على جثماني.. نظرة الوداع..

لا ريب أني سأفتقدني طويلاً..

قلت لهم:

-" آآ.. احم.. بإمكانكم أن تذهبوا وسوف ألحق بكم على الفور"

انقلبت الشفاه ازدراءً من ذاك النذل السفيه الذي يتكاسل عن تشييع جثمانه لقبرٍ موحش.. وغدا

تعالى صوت الأستاذ (عوض) المدير من الخارج مقترباً من غرفتنا:

-" هل استعددتم جميعاً؟!.. يا لكم من مُتعـــ.. . من؟!!! (سمير) ؟!!! "

رآني بعدما دخل الغرفة (متى حلق شاربه؟!) .. وتوجّه إليّ وعانقني في حرارة وهو يقول دامع العينين:

-" (سمير) .. لقد كنت موظفاً مطيعاً.. رحمك الله يا بنى.. . هل ستأتي؟!"

* * *

كالعادة هذه خالة أحدهم قد ماتت في قرية ما والعزاء تلغرافيًا الخ.. الخ.. والدفن بعد صلاة الظهر طبعًا..

* * *

أكون؟.. أو لا أكون؟

تلك هي المسألة..

* * *

انصرفتُ إلى منزلي بعدما رأيتهم وقد ذهبوا لتشييعي وإيداعي ظلمات القبر.. يا للعجب!.. بل يا للطرافة!

أدخل الآن حارتنا الضيقة.. يا له من مشهد يبعث على الغثيان، ليتني ميتٌ حقاً.. نفس المشهد الممل المقزز..

أدعو الله في سري ألا ألقى (عاشور) بلطجي حارتنا.. ذلك الذي يجعل مني أداةً لتسليته.. يحفظ مواعيد خروجي من البيت وعودتي له عن ظهر قلب وبشكل مدهش!.. يبذل جهداً جباراً – يستحق عليه الشكر– فى إظهار احترامه لي بتهشيم كرامتي في الذهاب والإياب..

أذكر أننا – رواد المقهى، وهو من بينهم – كنا في ليلة نادرة، في ساعة صفاء مجتمعين.. انتهزتُ الفرصة للتقرب منه، وطليتُ حديثي برنة تودد ممتزجة بمحبة وسألته عن المغزى وراء تعمده لإهانتي وإيذائي.. فأجاب وشلال البساطة يتدفق من كلماته:

–" هذا لأنك موظف بالطبع.. ظننتُ هذا واضحاً"

* * *

كنت أعلم أني لن أبلغ البيت في سلام.. ها هو (عاشور) ينظر إليّ (هل ألحظ للمرة الأولى أنه أحول؟ لا أعتقد أنه كان كذلك قبلاً) مبتسماً في تودد وبشاشة مبالغ فيهما.. مبالغ فيهما بشدة فعلاً، حتى لقد شككت في أنه قد حوّل نشاطه من البلطجة إلى الشذوذ!

تجاوزته مهرولاً حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه..

ولكن إن كنت قد سلمت من (عاشور) ، فمن قال أن هذا سيكون

حالي مع (عبد الرحيم) القصاب؟!..

القصة المعهودة.. قرار أحمق بتناول اللحوم - قرار لم أكن أعرف أن سأندم عليه بقية حياتي -.. دين.. محاولات هرب.. مطاردة.. تهديد.. (ساطور) متحفز في كل يوم..

ها هو يتبدّى لي مستقبلاً إياي على باب محله الذي تتدلى منه عدة أشياء لا أدرى لها اسماً لكنها بالتأكيد يسيل لها لعابي..

إن اقترب منى أو مسّني بسوء فلن أصمت هذه المرة..

سأصرخ فيه باكياً أن (الضرب في الميت حرام) فلا يوجد على الأرض من تنطبق هذه المقولة عليه كما تنطبق عليّ.. هيا فلتأت يا (عوبد) إن شئت.. ما بالك أنت الآخر؟!

-" أستاذ (سمير)!!!.. أنرت الحارة يا رجل.. أقسم أنى ما إن علمت بموتك إلا وبكيت كثيراً، وما توانيت في تجهيز كفنك وجميع لوازم (خرجتك) .. أجل، لقد كنت عزيزاً علينا.. غفر الله لك وأسكنك فسيح جناته"

فرغ من حديثه قبل أن أخر مغشياً عليّ من الرائحة التي تصاعدت من فمه وهو يتكلم / ينفخ في وجهي في حماسة.. بعدها ربّت على كتفي وتجشّأ..

(مالي أراه قد خلع جلبابه الكحلي واستبدله بآخر أبيض!)

.. مضيت إلى باب البيت وأنا أنظر نحوه مستنجداً، وكأنما أستغيث به من شرٍ مستطير مقيم..

أصعد درجات السلم المتهالكة مشدوهاً.. أفتح الباب بالمفتاح لأجد شقيقتي كما تركتها غارقة في بحر من الوجوم والحزن الجارف..

-" (نجلاء).. (نجلاء)! "

لم لا ترد؟!

لا ريب أن قريباً لها قد توفى أو شيءٌ من هذا القبيل!

أتحرك نحو المطبخ..

-" أمي! "

-" (سمير) حبيبي.. متى عدت؟!.. أهذا موقفٌ تضعني فيه؟!.. لم يكن هذا ما أنتظره منك يا (سمير) .. أتفعلها وتموت دون أن تترك لي مالاً أبتاع به شيئاً لأطهوه لمن أتوا للعزاء فيك؟!.. لم يكن هذا عشمي فيك.. لكن لا تقلق يا حبيبي، لقد تصرفت.. مت هانئاً ولا تخف.. ولكن أما كان في وسعك أن تموت دونما جلبة؟!.. ما بال تلك الجلبة التي تصاعدت من غرفتك فجراً؟!"

* * *

ـ" هل كنت نائمًا في كهف؟.. إن (سمير فودة) قد توفي فجر اليوم"

* * *

-" أمي!.. ماذا تقولين؟!!! حتى أنت؟!!! "

خيّل إلىّ أن فكي قد سقط متراً لأسفل، وغطت عيناي باقي وجهي في ذهول تام عنيف!

ماذا يقولون؟!!.. أحقاً ما أرى؟!.. أصدقاً ما أسمع؟!..

هل تآمروا علىّ أم ماذا؟!..

ربّتت أمي على كتفي في إشفاق ثم طفقت تطهو..

ثبتت ملامح وجهي على الذهول التام وكأنما تيبّسَت.. ثم مشيتُ في بلاهة ألملم نفسي المبعثرة إلى حجرتي..

أغلقتُ الباب ورائي..

جلستُ طويلاً منتظراً رنين المنبه المزعج الذي سيوقظني من كابوسي الذي أحياه الآن..

لم يحدث شيء!

تناولتُ الوسادة ورحتُ أصدمها برأسي لعلى أفيق، فتناثر ما بها من قطن على الأرض.. لا ريب أن أمي ستقتلني..

(تقتلني؟!.. هع!)

جريتُ إلى الصنبور طالباً منه الغوث بأن يصب مياهه الباردة على رأسي.. اللعنة! لا مياه تأتى منه.. آه، لقد نسيت أني لم أدفع الفاتورة..

عدتُ لحجرتي.. مكثتُ طويلاً ذاهلاً.. عيناي اتسعتا أكثر ومن ثَم انفجرتُ في بكاءٍ حار، وتدافع من عيني الدمع وأنا أردد:

-" لا حول ولا قوة إلا بالله.. لقد متُ.. لقد متُ.. لقد مـــ.... "

تعثرت الكلمة على شفتيّ عندما حانت منى نظرة للساعة.. تباً! لم يبق على آذان الظهر غير ربع ساعة..

عليّ أن ألحق جنازتي.

* * *

(عصراً)

ظلمة.. ورهبة.. وبردٌ في جسدي لا أدري مصدره!.. أحاول، في حمق واضح، أن أفرد ذراعيّ وساقيّ على آخرهما لعلّي أدفع جدران القبر بعيداً بعض الشيء وأوسع مساحته أكثر؛ ولكن هباءً.. أيأس من ذلك فأكف وأكمل رقادي في استسلام.

* * *

الثلاثاء -28 مارس 2004

- هذا العمل كتب د. أحمد خالد توفيق بدايته وأكملته من بعده.. عميق الشكر له لسماحه بذلك.

سأكتب..

" المبدع كالنهر الجاري؛ متى استقر تعفّن"

قول مأثور

* * *

أجلس، كعادتي دوماً.. أشعر داخلي بطاقة فيّاضة أود تحريرها..
أي طاقة؟ من أي نوع؟.. حقيقةً لا أعلم..
كل ما أريده هو أن ألفظ هذه الطاقة، أُخرج تلك المشاعر فتهدأ نفسي وتقرّ عيني..
وكعادتي أيضاً، لا أجد سوى الكتابة ملجئاً وملاذاً لإفراغ ما بداخلي..
أمسكتُ قلمي، تراصّت أوراقي أمامي..
وجلستُ..
الجو أبعد ما يكون عن جو الكتابة.. لكن لا يهم.. لن يقف هذا عائقاً أمام ما تراكم من جبال الطاقة بذاتي..
حسناً، سأكتب.. .
مهلاً! ماذا سأكتب؟!
هل أزمع الكتابة لمجرد الكتابة؟.. ما الذي يناسب؟ ما الذي سيخفف من ثقل رأسي هذه؟!
أأكتب قصةً سياسيةً تخفق لها القلوب وتنتفض؟.. أو ربما لا تحوى سوى السخف المعتاد..
أأقذف بقصةٍ وعظيةٍ قد تهدى حائراً أو تنكأ جرحاً؟.. لكن من المرجح

ألا تنال سوى مطّ الشفاه..

أأخط على هذه الوريقات مغامرةً عاطفيةً قد تخلب لُب كل ذا قلب حالم؟.. من الجائز جداً أن تغدو معتادةً مملة..

هل أدلي بدلوي في قصة فانتازية؟ اجتماعية؟ فلسفية؟ واقعية؟!.. ،.. ،..

أشعر بأني أود إلقاء كل هذا دفعة واحدة في ورقةٍ واحدة، بل في سطرٍ واحد..

يندفع الإحساس متحرراً محطماً أسوار قلبي، يمتزج بالأفكار المندفعة المحطمة لأسوار عقلي، ينسرب ذلك المزيج خلال ذراعي في طريقه للقلم الكامن بين أناملي..

وها قد حدث ما كنت أخشاه.. لقد تم تزاحم الجُمل وتصارع الأفكار المعتاد؛ فانحشرت في الطريق متوقفة..

أرجوك أيها القلم تحرك.. تحرك أيها العابث..

فلأهدأ..

لأرتب الجُمل.. لأنسق التعبيرات.. لأسلسل الأفكار..

حسناً، لقد ساد النظام..

استقرت بذهني كتلة الأحاسيس المتماشية مع كلماتها المناسبة المعبرة..

فلأكتب الآن..

حدث التحرك المأمول للقلم كي يخط عبارة البداية المصطفاة، وها أنا أكتشف حبر القلم النافد..

بعد هذا كله، وأكون في النهاية ذا قلمٍ فارغ؟!!

إنه قدركِ أيتها الوريقات ألا تتلوثي بأفكاري..

وعلى الرَغم من النيران الموقدة للرغبة في الكتابة – نحّيت القلم جانباً..

وكذلك الأوراق..

فليكن، إنها ليست كارثة.. فلأبحث عن قلمٍ ممتلئ، ولأكتب في وقتٍ لاحق..

وسأكتب..

سأظل أكتب.

* * *

الأربعاء - 29 سبتمبر 2004

البريد الإلكتروني للكاتب :
Write4sunrise@hotmail.com

* * *

مدونة الكاتب :
Write4sunrise.ektob.com

نادمًا خرج القط

أحمد صبري غباشي

في هذه المجموعة يلعب أحمد على السلم الموسيقي من أوله إلى آخره.. هناك خواطر منتحر في (وداعًا) وهناك مصير الرجل المتحضر في مجتمع غوغائي بطبعه.. ذلك الرجل الذي سوف ينتظر إلى الأبد في قصة (متحضر).. هناك اللعبة العبثية السيزيفية في (مسرح كبير)، وهناك الرعب الميتافيزيقي الذي أثار رجفتي أنا نفسي في (نادمًا خرج القط)، وهناك الجو الأسطوري الملحمي في (زنوبيا)، وهناك القصة القصيرة المدرسية محكمة التكوين مثل (أبيع الملابس). بل إن هناك قصة بدأتها أنا على سبيل المسابقة هي (يوم خاص) وتركتها مفتوحة على سبيل التحدي الصعب الذي لا أعرف أنا نفسي كيف استكمله، لكنه استكملها لتكون قصة جيدة جدًا. عامة سوف نجد أن الحياة تثير حيرة أحمدُ ورعبه.. أبطاله غرباء متفردون يعانون وحدة قاتلة وسط مجتمع لا يمكن فهمه ولغز كوني مفجع. برغم صغر سنه فإن قراءاته العديدة منحته عمق تجربة لا بأس به، ولسوف تتدخل السنون لتعميق هذه التجربة أكثر فأكثر. أقول هذا وأعرف أن اسمه سيسطع بقوة في الحياة الأدبية بعد أعوام. لم أطلق هذه النبوءة من قبل إلا مع اثنين هما أحمد العايدي – ونجاحه لا يحتاج إلى كلمات – و...
اختفى تمامًا فلا أعرف أرضًا له، والذنب ذنبه طبعًا وليس ...
أرجو أن يبرهن أحمد صبري بعد أعوام على أنني بعيد ...
وجهي أمام من يقرءون هذه السطور الآن، وهو قادر على ...

د. أحمد خالد ...

الثمن في مصر: 5 جـ

الناشر: دار ليلى للنشر والتوزيع والإعلان